

أحمد طالب الأبراهيمي



رسائل من السجن

تعريب: الصادق مازنغ

أكاديمية طلبة دكتوراه لتبادل الوثائق والمصادر التاريخية

هذا مكتوب لي

مكتبة للشعر النويج - الجزائر

260

ناد

شحن : 1,700 د.

أحمد طالب الأبراهيمي

رسائل من السجن

مكتبة للشعر النويج



أحمد طالب البراهي

رسائل من السَّحْن

تعريف
الصديق ما زرع

النشرة الثالثة

الدار التونسية للنشر

هذه رسائل . فهي إذن دعوة الى الحوار . لقد انطلقت من وراء جُدُر السجن ، فكلّ منها نداء ، وكلّ منها أمل في انبثاق حقيقة طالما حجبت شمسها . وإنّ هذه الحقيقة هي الجزائر المستقلة ، وقد استرجعت كيائها . وانكشفت لها مشاكلها وجها لوجه ، فأصبحت تراها رؤيا العين . غير أنّه في حين كانت هذه الرسائل تُكتب بدم شاب لم يتجاوز السابعة والعشرين ، لم تزل بعد هذه الحقيقة رابضة في عالم المستحيلات . لقد حرّرت في يأس دونما قنوط ، وكان يحدو صاحبها تشوّف عارم إلى الضياء ، وكأنّما قد راهن على انبلاجه في حين كان قلبه في قبضة الظلام ، ولم يقطع نداؤه إلى الانسانية على حين كان الجسم الغفير من أبنائها يُوتون الأدبار ، وظلّ راسما خطوط المستقبل ، بينما كان الحاضر يومئذ يقيم في وجهه سدّ اللامعقول . فمن كلّ هذه الملابسات والظروف تستمدّ رسائلنا هذه قيمتها . على أنّها قيمة راسخة نهائية تجاوزت ظروف ميلادها .

أكاديمية طلبة دكتوراه لتبادل الوثائق والمصادر التاريخية

© حقوق الطبع محفوظة للدار التونسية للنشر

أفريل 1983

وانها لقيمة قد تجاوزت إلى ذلك أحداث زمننا الحاضر .
ومهما كانت تفاعلاتنا تجاه الانتفاضات الجزائرية منذ الاستقلال
فلقد كان لزاما أن نتوقع ما سوف يتبقى إنجازاه ، بعد تصفية
الاستعمار الخارجي ، من تصفية للاستعمار في الداخل . إن
طول ممارسة حياة المقاومة الحافزة على الإفراط في تقصي الذات
من خلال نظرات الطرف المقابل - حتى في صورة نفيه -
يترتب عنه دوما تقلص في الشخصية تتجلى آثاره في السلوك ،
بحيث تكون مرحلة استعادة الشخصية هي أيضا مرحلة
ملؤها التناقض والتألم .

فمن أجل ذلك ها أنا ذا بدوري أتجاوز أحداث حاضري ،
كما فعل أحمد طالب بالنسبة لحاضره آنذاك ، وأعبر عن ثقتي
في الرجل ، علما مني أنه سيظل يرنو بنظره إلى ما وراء
ظواهر السلم كما كان شأنه من قبل في النظر إلى ما وراء المنايا
الشاحصة للعيان .

* * *

ذلك أن أعجب ما أعجب له هو اتجاه هذه الرسائل
اتجاهها مصمما نحو المستقبل إذا ما آن الأوان للجزائري فاستعداد
ذاتيته الحقة وخاض غمار مشاكل تاريخه القومي . وهو مصدر
ما نلاحظه لدى محررها من ربط الصلة بالماضي . فكل استجلاء
للذات هو قبل كل شيء عودة إلى المناهل الأولى ، لا الطبيعية
فحسب ، بل الثقافية أيضا .

ولست أشعر بغير القلق ازاء أولئك المستشرقين البارزين ،
ممن تخصصوا في دراسات الشرق إلى حد أن انتهجوا مسلكا
خاصا لهم في تناول قضاياهم ، فكان من جرّاء ذلك أن انزلوا من
علم الاجتماع إلى التكهن والرجم بالغيب ، وطفقوا يقترحون
أفانين وضروبا من الثورة ، ماعدا تلك المبعثة من الذات نفسها .
لاشك انهم بذلك يبدون اجلالهم لماضي ... لكنهم ما يلبثون
أن يختطوه في أبهى حلة منصرفين إلى حاضر الآخرين
من غير الشرقيين ، فيلتمسون منه روحا للشرق في حاضره هو .
أليس هذا ، ياسيدي بارك ، ياسيدي رودنسون ، هو ما
تمنيانه للجزائر الجديدة ، والتي ليست مع ذلك بالحدیثة
عهدا بالوجود ؟

ثم أليس أيضا ، ايا سارتر ، يا من عُرِف بحضوره في
سائر ميادين البذل والسخاء ، أليس أن لا اثبات للذات الا
بنكرانها ، وأن كل ثورة احتضنتها روح أبوية مُصطنعة
تشكل عندئذ مظهرا للضمير المطمئن في احضان السهولة
والدعة ، والذي يعوزه بعد الهمة وسعة الخيال .

وليس مع هذا من حاجة مطلقا إلى التشبث الضيق بذلك
الماضي المحاط باجلالنا . فالثورة التي يدعو اليها أحمد طالب
سواء عن طريق الاشتراكية أو العروبة المتفتحة بتنازعها على
السواء عاملا الاتصال بالماضي والانفصال عنه . فهو اذ يحلل

ما أصيبت به الثقافة الجزائرية من طمس لمعالمها ومسح لذاتيها نجده قد انكشفت له بعد الجادة التي ينبغي سلوكها لاصلاح مافسد فورالدخول في المرحلة الايجابية للاستقلال . فالتعريب المقترن ضرورة باضفاء صبغة جزائرية على الاوضاع يقع الشروع فيه بعزم راسخ لكن مع التدرج في تطبيقه . وهذا أحمد طالب ، وإن امتلك له تأكيد الهدف ، نجده يتوخى الفرق في تحقيقه . وإنني لأخاله ، وهو اليوم وزير التربية الوطنية ، قد وجد في واقع الأحداث مصداقا لتقديراته في الماضي ، لاسيما وقد انكشفت له بموجب منصبه أكثر الجزئيات المعقدة لخطة ثقافية مندرجة في ظروف تمتاز بتضاعف عارم في عدد البالغين السن الدراسي . وهي الظاهرة الاساسية للتربية في الجزائر سنة 1966 .

وبعد ، أليس في إقرار الاشتراكية ، دون ما تعميم للتربية ، ما يحمل في طيه النفي البات لمفهومها . ولاغرو فالاشتراكية تشكل محيطا شاملا يحتضن الواقع الحياتي والنشاط الفكري معا ، ويتطلب بطبيعته أذهانا واعية للصالح المشترك ، وفي نفس الوقت أعمالا منسقة تبعا لرغبة ملحة في الحرية فريدة في انطلاقتها ، وإن كانت الى ذلك حريصة على الشمول في تعبيرها عن حقيقتها .

لذلك يأبى أحمد طالب الا أن ينفث بروح متجددة في كافة عناصر الثقافة الجزائرية ، دون أن يتغاضى ، عند وضعه

أسس البناء الجديدة ، عن الصلة الوثيقة بين الانسان والرب المنسامي ، وفقا للجوهر واللب من التراث الروحي للجزائر ، ذلك الرب الذي ان جعل من كل شيء مال الله ، فلكي يستخره لكافة محاليقه بلا استثناء . ثم إن أحمد طالب إذ يعمد الى إحياء مفهوم الحضرة الالهية نراه يتذكر عن جدارة أن الاسلام الجزائري يمت بصلة الى حضارة البحر المتوسط ، فهو من هذه الناحية متفتح على السواء لماضي القرن السادس المسيحي ، وحاضر القرن العشرين .

* * *

وقد أوضح أحمد طالب في تصريحات له أدلى بها أخيرا إلى صحفي لبناني ، عن مدى ابتعاده عن وجهة نظري في بحث ثقافة متجددة لحوض البحر المتوسط . وبذلك جعلني في حل من تحديد موقفي المبتعد عن موقفه ... اللهم الا أن ترجع القضية الى خلاف لفظي صرف ، أو الى تجاوب مع الظروف .

ومع هذا فثلث أثار الصحف التالية عميق الأصداء في جوانحي ، فما ذلك ، على ما طرأ أو يطرأ من منعرجات في السير ، الا لأنني أمنح ثقتي ذلك الرجل الذي خرق في رسائله جدار اللامعقول بمراهنته على الجزائر الباقية الى ما شاء الله .

ريني حبشي

أرى لزاما عليّ . وأنا أقدم لجمهور القراء عشرات الرسائل
هاته التي جمعتها هنا . أرى لزاما أن أقوم بتحرير رسالة أخرى
(وان كانت هذه المرة بأرض الجزائر المستعيدة لحرّيتها) ،
وأن أوجه بها الى القارئ .
هناك سؤالان ربما خطرا في البال تجاه هذا السفر الصغير
الحجم . أولهما : ما هي الغاية من نشر هذه الرسائل ؟ والثاني :
لماذا تنشر الآن ؟
لا امتراء أن السبب الرئيسي هو رغبتني أن أساهم بدوري
مساهمة متواضعة في الإنماء الضروري للحياة الفكرية ببلدنا .
وخاصة في المناقشات المتحتم تشجيعها بين شبابنا حول أمّهات
المشاكل الثقافية .
هذا . ولطالما تمنيت أن أتخذ من هذه الرسائل نواة أولى
لعمل أشد تركيزا وأغزر مادة أقدمه للقارئ في شبه لوحة
تشخص ملامح « المتحرّر من ربة الاستعمار » . لكن قلما
ظفرت منذ الاستقلال بالتفرغ لعمل فكري صرف . لذلك
أراني مضطرا أن أقدم رسائلي هذه على صورتها الاولى .

واني اذ أتولى . نشر « رسائل من السجن » هذه كما
حررت ، وبما حوت من ضروب الزلل والخطأ التي لم يكن
محمّد عنها والتي لن تغرب عن الانظار . إنما أردت أن أحتفظ
لها بطابعها كشهادة . اذ كان في اعتقادي من باب العبث
أن أنقحها في مواضع متفرقة منها . بما قد تقتضيه تجربة
هذه السنين الأخيرة . على أن هذه الرسائل قد انصرفت في
معظمها عن الخوض في الحقائق العابرة . ذات الصلة
بالعمل اليومي . متجهة صوب القيم الخالدة التي يجب
استلهاها في القيام به .

وتشكل هذه الرسائل شهادة على جيل هوجلي بالضبط .
لقد كنت ، اذ بلغت العشرين . أرى الحياة مفتوحة في وجهي .
وهي تغريني بالمتعة والاخلاد الى الراحة والدعة . لكنني
آثرت سلوك طريق أخرى . وسرعان ما اخترت الجدّ دون
العبث . والانتباه دون الغفلة واللهو . وكنت قد أيقنت أن
لا حياة لي دون هدف أرسمه لها . وليس للمرء من هدف
يسمى نحوه ما لم يجد ما هو أسمى من ذاته . ويظفر بالمثل
الأعلى الذي يبلغ من أجله الى قمة التضحية . . أما أنا
فكان هدفي قضية بلادي . ومن يومئذ لم أكن سوى مناضل
لا أكثر ولا أقل .

ونحن إن لجأنا الى العنف في استرجاع استقلالنا القومي .
فلم يكن من أثر للبغضاء في ثورتنا . وهو ما تشهد به أيضا
هذه الرسائل . فحسانا اليوم . وقد شملتنا الحرية والسلام
اللذان دفعنا من أجلهما أبهى ثمن . عسانا أن نحفظ في

الصميم منّا بنفس الظهر والتزاهة اللذين أضفيا على كفاحنا
من الشهامة ما بهر عيون العالم قاطبة وأعينا .

ثم إن هذه الرسائل لشبه الوصية : فلقد كنت مقتنعا
طيلة السنتين الأخيرتين من فترة اعتقالي (وكذلك أطباء
السجن معي) بأنني فريسة لمرض عضال . وعلى كلّ فهي ما
فتنت وصية بمعنى آخر . حيث إن من خطتها قد لقي
حتفه على صورة ما .

لقد مات فيه حماس الغناء :

... لسوف ترى رؤيا العين غدا

تلاميذ المدرسة في أروقتهم

وقد صحا الجوّ صحو

فتد التكهّنات الجويّة .

سنجدد بأرجاء المعمورة

ما أتلفته النار من آيات

وستمرح الحياة بضّة القوام

دون تكفّف ...

لقد بادت الاوهام الخادعة عن واقع الزمان وبنيه !

لكن ما فتى الايمان صامدا . والأمل حيّا .

الجزائر العاصمة 5 جانفي 1966

أ. ط. ا

إلى أختي

فريين ، غرة مارس 1957 .

أختي العزيز ،

كلمتي هذه إليك لأطمئنك . إنني منذ مساء البارحة رهين سجن « فريين » مع الحلان . وقد أتيح لنا أن نلتقي ببعضنا هذا الصباح أثناء « الفسحة » . لقد تم إيقافنا يوم 26 فيفري . ولعلك تلقيت كامل التفاصيل بهذا الشأن عن ك... ولا أخفي عنك أنني كنت خلال هذه الساعات الثماني والأربعين الأولى أتوقع شرّ داهية ... أختي ، ربما كنت قد علمت ذلك ومعتولي عليك كي تناسي « ما ما » فيما أصابها وتقول لها إنني أقبلها وأفكر دوما بشأنها . واني لأتصور ما هي عليه الآن ، قل لها أيضا إن ما غرسه في والدي من المبادئ مفضل بي حتميا وعلى أقل تقدير إلى السجن في ظروف مثل هذه . إن والدي لم يكتأبنني هذه الايام الأخيرة . ومن المحتمل أنه سوف يتلقى برصانته المهددة نأ إيقافي . وهو على فراش مرضه بمستشفى كراتشي .

إلى مناضل جزائري

فريين ، 26 مارس 1957 .

عزيزي ع ...

انني لجدت مبتهج بقراءة رسالتك . والحق انني لعللى أحر من
الجمهر في هذه اللحظة . اذ ما أنفك في تشوق الى الرسائل المتخلفة
عني . وفي ترقب زيارات رفضت من طرف قاضي التحقيق .
أما رسالتك فكلها أمل وبشائر : لكأنتما خاطبت بها
رجلا بلغ القمة من اليأس ، حتى ليخيل الي أنه قد خطت على
باب الدار التي تأويني الآن هذه العبارة الجهنمية الماثورة : « ألا
انزعوا عنكم أثواب الأمل يامن دخلوا هذه الدار » .
وانني لمقتنم وجودي بالسجن لسبر أعماق نفسي واستجلاء
حقائقها . وسأجد فسحة من زمني لأعد برنامج عمل وجدول
أوقات مضبوط . وإن أفسى ما يؤلمني الآن هو ما أشعر به من
الاستسلام والعجز والتخلي عن المعركة . ولربما أوشك أن ألقى
برأسي على الحائط من الغيظ والحسرة . لقد انتهت الحرية .

انتهت المقاومة السرية . انتهت الاتصالات تقوم بها . والمناشير
نوزعها ، والكائن المنصوبة ننتبه لها . انتهت المخاوف التي علينا
أن نقهرها . والمطاردة الناصبة شباكها من حولنا . والخوف المرهق
على المدى من السياط ... قد انتهى كل نشاط : فلا أسلحة
نقلها . ولا أدمع نكفكفها ، ولا صرخة انذار نلقي بها .
لقد كتب مونيي يقول ، ولا أدري في أي موضع من
تأليفه : « الخامسة والعشرين من العمر لمي باب الحياة المفتوح
على اللانهاية » ... وإنك لمدرك مدى انطباق هذه الكلمة على
وضعي الخاص .

إلى مناضل جزائري

فريس ، 21 أفريل 1957 .

عزيزي ع ...

أشكرك عما قدمته إلي من صورة كاملة أو تكاد عن الوضع في تونس . إن آراءك حول « الاستقلال الحقيقي » وأهمية المشاكل الاقتصادية لوجيهة جدا . ولربما سألتني عن وجهة نظري . الحق أن ثمة أشياء كثيرة نتعلمها في ضوضاء الحياة . لا في العزلة كالتي نغمرني الآن . ولقد واثاك الحظ إذ وضعك في مركز حسن للملاحظة . وأتاح لك أن تدرس على العين ما عسى أن يكتب من المصير لاستقلال حديث العهد . لكن هل يصح في عصر الناس هذا ، عصر المجموعات الأممية الكبرى ، هل يصح التحدث عن استقلال حقيقي لبلد صغير كتونس ؟ لذلك بودي لو فكرت أكثر بشأن المغرب الكبير .

وقد طالعت بهذا الصدد بآخر عدد لمجلة « الفكر » الفرنسية Esprit مقالا بعنوان : « الاتحاد السوفيتي والثورة

الاستعمارية » . وستجد في طيه استعراضا لنظرية مذهبية جد مشوقة (وهي نظرية سلطان غاليف Sultan Galiev) حول بناء الاشتراكية في المجتمعات الاستعمارية الناشئة .

ونحن نتمتع في محبنا بنظام وسط بين نظام موقوفي الحق العام والموقوفين سياسيا . فتظل زنزانانا مفتحة من السابعة صباحا الى السابعة مساء . الامر الذي يتيح لنا تنظيم حياتنا داخل السجن . وقد اعتزمنا بالخصوص بعث دروس في العربية والقاء أحاديث في مواضيع شتى بمجرد انتهاء شهر رمضان .

وماذا عسى أن أزيد ؟ إن هنالك الساحة والشمس والسماء الزرقاء ... ولكن هل ربيعنا ربيع بين جدر أربعة ؟

- « المتفتحون » . ممن بسطوا أكتفهم لثقافة الغرب دون
أيتما تنكّر لقبهم الأصلية .
وقد حاولت على ضوء هذه المقالة أن أستجلي وضعنا الخاص .
ويبدو لي أن الجزائر أحوج من أي بلد آخر الى رجال « متفتحين »
يتسمون في غير ما ركود بالإخلاص إلى ثقافتهم الموروثة . ويتقبلون
إلى ذلك الثقافة الغربية في غير ما إبادة لذاتيّتهم . ذلك أن جزائر
اليوم لاتنضم سوى صنف « المتغربين » و « المتزمتين » . وقد كان
الصنف الأول صنعة السياسة الادماجية التي توختها فرنسا في
معاهدها للتعليم . وقد شكلت هذه السياسة تحديا سافرا أفضى
بطبيعته الى رد فعل كان بمثابة الجواب عنه (الامر الذي يبدو حتميا
في منطق التاريخ) : وكذلك تنشأ فئة « المتزمتين » كشجرة لما يشهده
« العلماء » من تعاليمهم وقاموا به من نشاط في تأدية رسالتهم .
(وكانت تلك هي في الواقع الطريقة الوحيدة للاحتفاظ بمقوماتنا) .
وفي الختام أستمح العذر في التحدث عن نفسي . فأقول :
ان الخطة التي رسمتها لجريدة « الشاب المسلم » في مقالات لي
قاصرة جدا من حيث اسلوبها وفحواها . وكذلك ما قدمته غير
ما مرة من ايضاحات في خصوص مبادئ « الاتحاد العام للطلبة
المسلمين الجزائريين » . ان ذلك قد كان بمثابة المجهود الطائفي ،
مهما كان متواضعا . نحو التوفيق بين الاتجاهين لدى الشباب الجزائري

إلى مناضل جزائري

فريسن ، 10 جواد 1957

عزيري ع ...

شكرا عمّا وجهت به من كتب ومجلات . فانه ليتملكني
الساعة مزيد من التهم الى المطالعة . والحق أنني ما فتحت كتابا
قطعة طيلة عملي في صفوف المقاومة السرية . ولذلك سبب واضح .
فأنا اليوم أتلقي الأمر وأعوض ما فاتني ان صح التعبير .

وقد طالعت فيما طالعت دراسة لنجيب بلدي حول مشكل
سبق لنا أن ناقشناه : وذلك هو موقف الوطنيين المثقفين بالبلاد
المستعمرة ازاء الغرب . وقد وفق المؤلف حقا في رأيه اذ قسمهم
الى أصناف ثلاثة :

- « المتزمتون » . ممن رفضوا الغرب رفضا باتا . اللهم

الا الأوضاع التقنية .

- « المتغربون » . وهم من أعرضوا جانبا حتى عن تعلم

لغتهم القومية .

أزقيها الآن . بل ربما تعذر علي أكثر فأكثر التفرقة بين فرنسا الحقيقية
وفرنسا القانونية ، وإنني لأبحث طويلا عن فرنسا التي لقيتها على مقاعد
المدرسة ، فلا أجد لها من أثر اللهم إلا عند قلّة من الفرنسيين . هم
بالضبط أولئك الذين يعرفهم الحجل كلما ذكرت الحرب
الجزائرية .

فالي هؤلاء الفرنسيين ، الى بضع أصدقاء لنا ؛ اليك أنت
يا عزيزي ر توجّهت بخوالي في ذاك اليوم الرابع عشر من
جويلية : إنني لم أفكر آنذ في تمديد السلط الاستثنائية التي كم
برحت بنا منذ أن صوّت عليها البرلمان الفرنسي في شبه إجماع
لفائدة حكومة غي مولي . لا . ولم أفكر بشأن الاستعراض الهائل
* الذي قام به جنود المظلات في باريس ، وإنما فكرت خاصة بشأن
ضحايا السلطات الاستثنائية وجنود المظلات . إنما اتجهت أفكاري
الى أولئك الفتيات من بلادي اللاتي حكمت عليهن محكمة
الجزائر العسكرية بالاعدام ، وفي ذلك اليوم الرابع عشر من جويلية
1957 بالضبط .

الى صديق فرنسي

فريس ، 17 جويلية 1957 .

عزيزي ر . . .

انك لا تتصوّر مدى تأثري برسالتك التي نشرتها لك جريدة
« لكسيون » والتي أخال أنك رميت من ورائها الى إذكاء شعلة
في نفسي متضائلة قد أوشكت أن تنطفئ : وإنما عنيت إيماني
الراسخ بشعب فرنسا .

ذلك أنني ما فتئت أو من بوجود لفرنسا « الحقيقية » المناهضة
على طول الخط لتصرفات فرنسا « القانونية » . وما تضعضعت
قطّ عقيدتي في شعب فرنسا الوفي لتقاليده الثورية الديمقراطية ،
والذي لا بدّ في النهاية أن يقف في وجه حكّامه فيصدهم عن
أساليبهم الوحشية . ويضع حدا للحرب في الجزائر بما تجرّه
وراءها من ويل وخراب .

لقد طالما انتظرت من طرف شعب فرنسا تلك الانتفاضة
الأيّة التي وصفتها في كلمتك . بيد أنني أصارحك أنني لم أعد

على الأصح ، عن الاسلام في مجابهته للظروف والملابسات الزمنية
على اختلافها وتطورها . بودي أن يدخل المسلم عالمنا المعاصر بنفس
لغمرها الطمأنينة . وأن يشكل خميرة حية يتفعل بها من حوله
وأن يصبح إيمانه في مستوى الحضارة التقنية ومشاكلها .

إلى أبنخي

لاساني . 6 نوفمبر 1957

أخي العزيز .

لا توجه منذ الآن الى فرين برسائلك الي ، فقد انتقلنا
بالسكنى أمر . ولست أدري بأي موجب حولنا الى سجن
" لاساني " . (ولعل ذلك لما بلغهم فيما قبل من خطة أبرمت
لتهريبنا) . ولقد تعزز جانبنا الى حد أن الزنانات لم تعد تسعنا :
فأنا احتل واحدة منها برفقة صالح . وقد التقيت هنا بدوم وكذلك
الأشرف وخيضر وبن بلّة وآيت أحمد وهم يحتلون الطابق
الأسفل . أما بوضياف فهو الساعة بمستشفى فرين حيث يتأهب
لعملية جراحية .

وسواصل اللقاء دروس العربية . ومن المتوقع أنه سيزداد
عدد تلاميذي . ومن المتوقع أيضا أنه سوف تُستأنف كذلك
الأحاديث الأسبوعية .

هذا وما فتئت أعنى بكل ما يكتب عن الاسلام : . او

إلى صديق فرنسي

لاسانتي ، 10 ديسمبر 1957 .

عزيزي ر ...

انني لم أتيسر ما تعنيه بقولك « الاتجاه الفطري للجزائر صوب الغرب » . وهو ما يرد إلى ذاكرتي ما سموه « أورافريقيا » . ورأيت في القضية معلوم عندك فلا فائدة في الاطناب . إنه ليدولي أن الموهبة الفطرية للجزائر . أو بالأحرى للمغرب في مجموعه . هي أن يشكل همزة اتصال بين الغرب والشرق (أو على الأصح بين الغرب والعالم الافريقي الآسيوي) . فيكون عالم سلام واستقرار في العالم . وتجلي لك هذه الفكرة نفسها في تصريحات محمد الخامس وبورقيبة ، كما تجدها في الأقوال المأثورة عن مسؤولي جبهة التحرير الجزائرية . على أن هؤلاء كلهم قد أجمعوا على أن هذا الدور لن يتحقق فعلا الا اذا ظفرت الجزائر باستقلالها على اثر شقيقاتها .

بيد أننا في الوقت الذي أدركت فيه بلدان ندوة باندونغ

نحتّم الاعتراف من طرف فرنسا بذلك الاستقلال . نجد بلاد الحلف الأطلسي ما تنفك متشبثة بنظريات كيبينغ الاستعمارية وكأنما هي لاتروم نبد الاسطورة القائلة بتفوق الرجل الاوروبي . ونحن نعتقد أن العالم الغربي في مجموعه مؤيد لفرنسا ، وأن الحرب لن تضع أوزارها بالجزائر الا اذا تغير الوضع الراهن للقوى المتقابلة بما فيه تأييد لجانبنا . ونعتقد كذلك أن ما حصل لحد الآن من تنازلات للغرب في مستعمراته القديمة فهو لم يكن لفقدانه الرغبة في الاستعمار . وانما كان بسبب عجزه عن مواصلته . من أجل ذلك أعتقد أننا على عتبة اختيار حاسم بالنظر الى افريقيا والبحر المتوسط . ولقد برهن المغاربة عن تحليهم بالصبر ، ولربما ببعض السذاجة حيث لم يفقدوا الأمل في « ذلك الضياء الغامر المتجلي من الغرب » (أي الولايات المتحدة) ، في حين أن أقوى تأييد حظيت به مواقف فرنسا في باحات الأمم المتحدة إنما كان من طرف الأميركيين أنفسهم .

هذا وقد يبدو أن الغربيين لم يدركوا أن قضية الكتل ومناطق النفوذ هي اليوم في نظرنا بالمتزلة الثانية من حيث الأهمية . وإنما نحن في صراع وكفاح من أجل فض مشكلتنا الاساسية ، مشكلة اثبات وجودنا .

وفي الختام ألاحظ لك أن ما نسميه بالرسالة الفطرية لأمة ما ، وإن ارتكز على بعض الأسس الجغرافية والسياسية فليس هو من صنف القضاء المحتوم الذي يفرضه المنطق التاريخي . وإنما

تكون الأمة . في واقع الامر الى ابعد مدى . بحسب مشيئة
أبنائها وتبعاً لما اختاروه لها أن تكون .

إلى مناضل جزائري

لاساتني ، 16 أفريل 1958

عزيزي ع ...

مما يؤثر عن سانت اكزوبري Saint-Exupéry قوله
في بعض كتبه : « من المحزن نسيان الصديق » . لكن هيهات أن
يدرك المكتهلون الراشدون من البشر ما قصد اليه في قصته عن
الأمير الصبي . والطفل ... وعن السجين » .
انه ليسعدني أن أطلع رسالتك اليوم بعد صمت امتد
حوالي العام . لاني لعل وفاق معك حول الجوهر من القضية وهو
أن لا عبرة باسترجاع الأمة سيادتها السياسية وإمساکها بزمام الإدارة
ان لم تصبح الشؤون الاقتصادية بأيدي أبناء البلاد وفي خدمة الأمة
جمعاء . على أنني لا أخفي عنك عدم ارتياحي لتزعتك المذهبية
الضيقة المتطرفة في النقد . ان أخشى ما أخشاه هو أن تصبح أمة
عاجزة عن نقد نفسها بنفسها . فنيكون أشبه شيء بحامل
الخرج ، على حدّ تعبير لافتين في حكايته المأثورة . أخشى أن

نعود أشباه الجمل العاجز عن رؤية حَدَبته . كما ورد في بعض أمثالنا الشعبية . ولا يجدر بنا فيما أعتقد أن نتعرض لما هناك من عيوب أو مظاهر للخلل في تجربتي تونس والمغرب (وغيرهما من البلاد) اللهم إلا بقدر ما نستخلص منهما العبرة فنتفادى في غدنا وعلى قدر إمكاننا ما عسى أن نصاب به نحن في استقلالنا المنتظر من « أمراض الطفولة » التي أصبحت محلّ الأخذ والردّ . لقد طالما ردّدت على سمعك أنّ التواضع من أجلّ شيم المناضل . وهذا لبنين ، وهو من يروك الاستشهاد بآرائه . قد كتب يقول : « إنّ جميع من هلك من الأحزاب الثورية نتيجة اندفاعها مع الغرور إنما كانت متعامية عن مواطن قوتها متجنّبة الخوض في أسباب وهنها ... » . ولربّما تلقّيت هذه الكلمة في يوم عيد الفطر . واني بهذه المناسبة أبعث إليك بتمنياتي الأخوية . والله أسأل أن يحقق أملنا لنحتفل بالعيد المقبل في وطننا الجزائر وقد نالت حرّيتها واستقلالها .

إلى مناضل جزائري

لاسانتي ، 27 ماي 1958 .

عزيزي ع ...

بلغتني الساعة رسالتك بشأن ندوة طنجة التي أنهت أخيرا أشغالها . وإنها لتتقد حماسا .
حقا ، إنها خطوة أولى نحو تحقيق تلك الوحدة المغربية التي ما فتئت هدفنا الأسمى . وإنّ ما اتخذ من المقررات لمشعر بما بلغ إليه المسؤولون المغاربة من النضج . فهم لم يقتصروا على المطالبة بمزيد من التآزر وتكثيل الجهود لتحرير الجزائر . بل لأنهم استجلوا آفاق المستقبل واستعرضوا حظوظه من زاوية مغربية لا غبار عليها .
غير أنّ هذا لا يكفي . إذ قد بقي الكثير ممّا يجب القيام به .
إنّ الطريق لطويلة والعقبات جمّة . وأنا خاصة لا أتمالك من طرح هذين السؤالين :

1 - هل المسؤولون المغاربة متجهون حقا بتفكيرهم صوب المغرب كوحدة في ذاته بصرف النظر عن الأجزاء المبعثرة منه ؟

فلربما أفادتنا التجربة أن الجهود المبذولة في هذه السنين المتأخرة كانت على عكس الاتجاه المنشود .

(2) هل سيعقب هذه الندوة عمل إيجابي ؟ لأنه لا شأن للمقررات الا باعتبار ما يتلوه من انجازات . وقبل البلوغ الى الوحدة السياسية بما في ضمنها من المركب البيولوجي قد يمكن من الآن أن يعهد الى لجان بالقيام بدراسة للطرق الكفيلة بتوحيد التعليم والاقتصاد في الاقطار الثلاثة :

وأعود إلى ندوة طنجة فأقول : إن ما استرعى أبلغ الاهتمام من طرفي هو القرار المتخذ بشأن تصفية مخلفات الهيمنة الاستعمارية . وبقيني أن هنالك الى جانب ما اشتهرت به الندوة مخلفات أخرى أدهى وأمر . وتلك هي المخلفات في الميدان الثقافي . ولا أنكر أن علينا أن نتلقى الكثير من الدروس عن الغرب . وأن نأخذ عنه ما شاء الله من معلومات . بيد أن مائة وخمسة وعشرين سنة قضيناها تحت الاستعمار قد كان لها بالغ الأثر فينا لا بالنظر الى ما كَلْنَا وملبسنا وطريقة استغلال خيرات أرضنا من ظاهرة وباطنة فحسب . بل وكذلك في منهاج تفكيرنا . مما أفضى الى مسخ شخصيتنا . وهو ما لن أتوانى ولن أفتر عن التشهير به .

أما المغرب الكبير فهو واقع سببرزه الغد . وسيتم توحيد دون فرنسا (هذا إن لم يكن ضدها) . على أنه قد كان ممكنا منذ سنتين مضتا أن يتوحد عن طريقها . ولربما حصلت هذه الوحدة بالدماء المراقبة . لكننا لن نكون عندئذ الا أوثق عرى .

إلى أخي

لاساتني ، 31 جويلية 1958 .
أخي العزيز ،

في أعماق السجون ومن وراء قضبان الحديد قد يولع المرء بالحلم والخيال ويروده حب الشعر . وانني لمقبل في هذه الأيام بمزيد الشغف والمتعة على مطالعة آثار أرغون Aragon الشاعر العجيب في منحاه . وذلك بفضل ما كان من لطف ج . التي جلبت الي معظم دواوينه . وقد تصفحت أمس نسخة مطبوعة من ديوانه « عيون ألسا » وكم كانت دهشتي حين عثرت على ذيل للكتاب ضمن دراسة بعنوان « عبرة ريبيرك أو أوروبا الفرنسية » . وقد أشار الكاتب خلالها الى أهمية نزعة الكياسة والظرف في الاخلاق التي كان مولدها بفرنسا خلال القرن الثاني عشر المسيحي . ثم كان من أمرها أن هيمنت على الأدب الأوروبي في مجموعه (وكان أبرز ممثليها كريتيان دي تروا) . الأمر الذي حدا بأرغون الى التحدث عما سُمّاه « أوروبا الفرنسية » .
واني لقارئ حساب الظروف التي حرّرت فيها الدراسة

بما فيها من تبرير لتلك النزعة القومية العنيفة من طرف المقاومين الفرنسيين اثناء احتلال الألمان لبلادهم . مما حملهم على المطالبة لفرنسا بشرف الأبوة الفكرية لأقطار أوروبا . وأغلب الظن أن ذلك الشعور نفسه هو الذي أوحى الى أرغون بأن يضع كتابه عن « مهانة الفرنسيين وعظمتهم » (ولقد نجد ما يعارض هذه الفكرة في « طريق التلاميذ » (لمرسيل ايمي Marcel Aymé) .

يبد أن هذا الموقف مناف للروح العلمية . فنحن بإمعان النظر واستقصاء البحث يتضح لنا أن فرنسا القرون الوسطى . وهي ذات الأيادي البيضاء الجمّة على أوروبا . قد كانت بدورها مدينة بالكثير الى العرب . ولن أجازف الى درجة التحدث عن « أوروبا العربية » . لكنني أراني أتشوق الى وضع تأليف ضخّم يتناول في دقة ما أدّاه العرب من خدمات الى الحضارة الانسانية .

(1) فبخصوص الأدب ومساهماتهم في حقله : لاتعوزنا البحوث القيمة في أوروبا وغير أوروبا . ممّا نسبت فيه نشأة الحبّ الكيتس (العذري) في أوروبا الى تأثير الشعر العربي (على الرغم مما يذهب اليه دوني دي روجمون (Denis de Rougemont) . ولربما أفادنا في هذا الصدد أن ندرس على الخصوص تأثير دانتى وبطركا بالعرب في شعرهم .

(2) وفي مجال الفلسفة : لم ينحصر دور العرب في نقل الحكمة اليونانية الى أوروبا بل ساهموا كذلك بما أوتوه من أصالة في تقدّم العلوم من فلك وكيمياء وفيزياء ورياضيات وطب . وبخصوص

الطبّ يبدو لي أنه لم يقع التنويه كما يجب بما أسدّاه أبو القاسم خلف لفن الجراحة ولا بما حققه ابن الهيثم في درسه أمراض العيون . (3) وفي ميدان الفلسفة : يجدر بنا أن نبرز ما أخذه القديس توماس عن ابن رشد عند وضعه مذهبه التومّي المنسوب اليه . وإن نوضح ما كان لابن خلدون من سبق في علم الاجتماع .

(4) وفي خصوص الدين وما اليه : يبدو لي أن لو درسنا مجموعة طقوس المسيحيين الأوروبيين . وما كان من مناحيهم في خطبهم الدينية ومواعظهم وعمدنا الى المقارنة بين ما كان من ذلك قبل الحروب الصليبية وبعدها . اذن لأدي بنا بحثنا الى نتائج طريفة حقاً في بابها . وبالتالي فهناك أواصر وشيجة لاتنكر بين الصوفيتين الإسلامية والمسيحية . وقد ذهب العلامة م. أ. بالاصبوس الى الجزم بأن ابن عباد الرندي قد كان « الرائد الأول لطريقة القديس سان جان دي لاكروا » .

(5) وبالنظر الى السياسة : أراني أتساءل مثلاً هل إن مبدأ الاتفاق العام Consensus (او الاجماع) الذي أفاض بشأنه القديس سان توماس ، لم يكن قد تلقاه عن الفلاسفة من المسلمين ؟ ثم أليست هنالك صلة بين هذا المبدأ وبين شبه فراغ أوروبا طيلة القرون الوسطى من الملكية المطلقة ؟

إنه . كما ترى . لمشروع يتطلّب الجهود المتضافرة من طرف العدد العديد من الاختصاصيين . فيعسى هؤلاء أن يشرعوا في عملهم هذا في أقرب أمد . وقد حققت الجزائر استقلالها المنشود !

إلى صديق فرنسي

لإسائتي . 25 أوت 1958 .

صديقي ر ...

لقد أثرت لأول مرة مشكلة الاعتداءات (وما كان ذلك ليباغتني من طرفك) . وانتهازها فرصة لتسألني وجهة نظري بصدد الركون إلى العنف . فلتكن إذن على يقين من أنني لست من محبيه على طول الخط . لكنني لن أستحسن مطلقاً أن يقع الجواب عن الطعنات المسددة بالدعوات الطيبة لمن سددها . وإنما تقابل الطعنات بأمثالها . واذ لم أكن من أتباع السيد المسيح فلاقتصاص من الجاني فرض متحتم في نظري .

لا امتراء في أنني ممن يرون للأخلاق دوراً يجب أن تقوم به في الميدان السياسي . أو بالأحرى ممن يعهدون للسياسة بدور التنسيق بين النواحي الأخلاقية والمناهج العملية (وهو ما رددته مونيبي غير مرة) . ولأنني الرجل الذي « يحرجه الوقوع في الإثم » على حد تعبير مألوف لدى بعض وزراء الجمهورية الرابعة . ونحن

ما فتننا في معركتنا التي نخوضها نعمل دوماً وفقاً لمبادئ معلومة لانتخطاها . لكن معركتنا هذه من صنف خاص لانظير له . أي معركة حياة أو موت . ونحن إلى ذلك نثيرها على عدو لا يتردد في استعمال التعذيب وشن حملات « التطهير » .

وإنما استجابت أعمالنا الموسومة بالعنف إلى حالات من العنف بمكان . ولربما وفقت أحسن إلى فهم ما قلته إن أنت أعدت تصفح هذه الفقرة لمونيبي (وهي المرة الثانية التي نستشهد به في رسالتنا) : « إن الناس ليفكثرون فوق ما يجب بشأن أعمال العنف . وهو ما يصدّهم عن مرأى ما هو أكثر استفحالا وتفشياً منها . وتلك هي حالات العنف وملاساته حيث تتعطل في يومنا عن الشغل وتموت وتفقد إنسانيتها الملايين من المخاليق في غير ما أقامة السدود للنضال والثورة . وفي كنف النظام . وكذلك لا يرون أن المحدث الحقيقي للشغب هو الجبار الطاغية . وأن العنف الحقيقي بأشنع معنى للكلمة هو استمرار هيمنته على الرقاب » .

إلى مناضل جزائري

لاساني ، 2 سبتمبر 1958

عزيزي م ...

أرجو أن تكون الأمور جارية وفقا للمرام عندكم سواء على الصعيد العام . أو على الصعيد الطالبية خاصة . وقد أتيج لي أن أتبع أشغال مؤتمركم الأخير بفضل العدد النزر من الصحف التي ما فتئت تبلغنا . ولايسعني الا أن أوجه لكم بتهاني وأن أعرب لكم عن أطيب التمنيات مبتهلا الى الله أن يوفق أعمالكم في القريب . على أنني أطلب اليكم أن تلحقوا بصفتكم جزائريين على أهمية تعريب التعليم بالجزائر فور استقلالها . وأن تحاولوا من الآن اجراء دراسة مستفيضة لما يجب توحيه من الطرق والمناهج لتحقيق هذا التعريب . وانما قلت « بصفتكم جزائريين » لأن للمشكلة بالجزائر وضعاً خاصاً مغايراً لما هو عليه في تونس والمغرب . حيث لم يعمد فيهما الى الفتك بالعربية . ولا كان فيهما التعريب موضوعا للنقاش . لذلك فربما تخطت المشكلة أنظار مؤتمر مشترك بين الشمال

الافريقي . ان لم يمنحها الجزائريون أنفسهم نصيباً من عنايتهم ويسعون الى لفت الأنظار اليها .

أما ههنا فقد تغيرت الحال كثيراً عما كنت قد عهدته زمن كنت تزورنا ، وبلغ التشدد مبلغه في تطبيق النظام : فالترانزات موصدة ليل نهار ماعدا أوقات التجوال . ولم تعد الزيارات مسموحاً بها الا من خلف الشبايك الحديدية الخ ... هذا الى ضروب لاحد لها من سوء المعاملة . وفي كلمة لم يكذب فارق بيننا وبين مساجين الحق العام . وبتزايد شعوري بالعزلة التامة عن العالم بمقدار ما ينضم الى ذلك من صمت أجبائي واعراضهم عني . ان الابداع بالمرء في السجن هو منبع المرارة والحسرة . لكنها مرارة . ان وجدت . فهي منحصرة في حدودي الشخصية الضيقة . ففي أحلك الأيام ما انطفأت قط في مهجتي أشعة الأمل في غد أحسن وعيش أفضل لشعبنا ...

فللمرة الأولى منذ إيقافي أشعر بمساهمتي الناشطة في المعركة . وهنا ندرك أننا نعيش فترة من تاريخ وطننا لم يعد فيها من شأن لمصير الأفراد . ذلك أن مصير أمة بأكملها قد أصبح العوبة للحظ وهدفا للأخطار . فالشأن يدعوا الى تخليص الأهم من أيدي الكارثة . الأمر الذي لايمكن معه أن نندخر وسعنا ونخلد الى الراحة .

إلى أبي

لاسانتي . 3 نوفمبر 1958 .

أخي العزيز ،

لقد قضي الأمر وجردنا مما كنا نتمتع به في سجننا من نظام سياسي : لقد ألحقنا منذ أربعة أيام بمساجين الحق العام . وقد نقلونا اليوم الى محلات الدائرة الاولى ونحن في يومنا السابع من إضراب الجوع ، ولا بد أنه قد بلغتك عن طريق الصحف أصداء عنه . ونحن نعيش هنا معزولين كل العزلة عن بعضنا . حتى « التزهة » اليومية يقضيها كل منا منفردا .

وأنا أحرر رسالتي هذه اليك من « منزلي » بواسطة قلم الحبر الجاف ولا أدري ما هي الساعة الآن لسبب واضح وهو أنهم منعونا من اتخاذ الساعات واستعمال أقلام الحبر . ويرجح بي الآن صداد مهول برأسي وأوجاع بساقي . بيد أنني على تمام الوعي وصفاء الذهن . تراودني الكثير من الخواطر والنوايا التي لا ريب أن سوف يلتهمها الزمن في سيره الحثيث ... أمّا المعنويات فهي دوما مرتفعة :

إلى أبي

فريين ، 24 نوفمبر 1958 .

أخي العزيز ،

بعد أن قضينا أسبوعين مضربين إضراب الجوع أقمنا مدة وجيزة بمستوصف « لاسانتي » التابع للسجن . واذ أصبحنا « نتحمل النقل » فها نحن اليوم نحل سجن فريين . وفي نفس المحلات التي كنا نشغلها منذ سنة ونيف . وتوشك يدي أن تخط هذه الكلمة : يا لله كم يمضي الزمن سريعا .

لقد كان الشهر المنصرم ثقیل الوطأة . وإن كان ثرياً عظة . لقد أتيت لي خلاله أن أتعلم من الأشياء وأن أشهد من المشاهد ما لن يمتحي في القريب أثره من ذاكرتي . وانه ليتملكني مزید الألم لمجرد تذكرني جهاز السجون البشع المكون من آلة عمياء عديمة الحساسية ومجموعة متشابكة من الدواليب والأرقام . ومن التناقض المدهش . أن يوفق المرء في هذا الجو الحالك الى التعرف مباشرة على طائفة من الحقائق ، ففي هذا العالم من الأنفاق والدهاليز

المظلمة قد يبلغ منه الوعي مبلغه فيكثته معناه الإنساني في أعماق أبعاده .

النور والهواء أوفر هنا منهما بسجن « لاسانتي » لكن شتان بين ظروف الحياة هنا وما كانت عليه بالدائرة السادسة .

إلى كلُّود رُوا

فريز . 10 جانفي 1959

صديقي العزيز .

لئن لم يتح لي الحظ معرفتكم ، فأنا أجزى لنفسي لا مجرد التوجه اليكم بأمانتي الخالصة ، بل وأيضا أن أعدكم صديقا لي . ذلك انني وفقت من خلال تأليفكم أن « أقتني أثركم بمزيد من الشغف والرغبة في الاطلاع » .

انني لمن زمرة شبان الجزائر الذين حصلت لهم فكرة بعينها عن بلدكم مدة تعلمهم سواء بالمعاهد الثانوية أو بالجامعة . لكنّها فكرة ما فتئت الأحداث تصفعها وتفتتها في كل يوم . ثم جاءت أحداث السنين الأخيرة فمزقتها لمزقا وبأفظع صورة . وليس من غرضي الاسهاب بهذا الشأن .

إنما ألتبس منكم السماح لي بأن أقول إننا لجأنا الى السلاح لدعم قضيتنا حيث لا يكفي الحق وحده في مكافحة الظلم والرعونة والبغضاء : بل يجب أن تقهر بحد السيف .

على أنني إن راسلتكم اليوم . فذلك خاصة عما أعتقده
وأؤمن به من أنه مازال من أبناء فرنسا متقنّون لتلك الفكرة .
وأنكم لمن أبرز أساطينهم في عالم الأدب . وأنه لميراث ضخم
تضطلعون بأعبائه . إذ كنتم المحيين سنن الفطاحل في حلبة
البيان من أمثال مونتاني وفليبر وهوغو (من وفقتهم في إعادته
إلى منزلته اللائقة به) وزولا .

لذلك أعتبر لكم عن فائق اعجابي راجيا أن تشرق الشمس
في سنة 1959 بعد طول مغيبها على وطني .

إلى المناضل جزائري

فريين ، 22 جانفي 1959 .

عزيزي ع ...

لقد حمل الي العدد الأخير من « المجاهد » مفاجأة سارة ،
أعني المقال المدرج به بعنوان « تطوّر المجتمع الاسلامي والتجربة
الجزائرية » . وكم بودّنا لو تنكاثرت وتضرد مثل هذه الدراسات .
إذ من شأنها أن تحذو بنا الى مناقشة أنفسنا دوما . وهي المناقشة
الكفيلة وحدها بتقوية ساعد المناضل ومنحه الثقة بنفسه والتفتح
على الآخرين .

على أنني لا أشاطر المؤلف جميع آراءه . إذ لا يبدو أنه
أدرك جلبا ما بلغت اليه الحركة السلفية من أهمية في تاريخ
عالمنا الاسلامي . إنّ هذا التاريخ يشكل وحدة مترابطة ولا أثر
للعفوية ومحض الصدف في نشأة الافكار والاتجاهات الفكرية .
وليس بالعسير كل العسر أن نكشف عن صلة ما ولو ضئيلة بين
محمد عبده وابن تيمية وبين هذا الاخير نفسه والتيارين الأشعري
والمعتزلي .

وكذلك نجد بين الثورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية من جانب . وبين الحركات الفكرية التي مهدت لها من جانب آخر . أواصر أوثق مما يتبادر الى الذهن . ونحن نعلم ما كان لجماعة « الأنسيكلوبيديين » من أثر في بعث الثورة الفرنسية . وما لعبه آراء ماركس من دور في بعث ثورة أكتوبر . وإنه لبيدولي أننا في عالمنا الاسلامي لم نبرز حق الأبرار دور أفكار ابن تومرت (المتلقاة خاصة عن الغزالي) في سقوط دولة المرابطين وقبالة دولة عبد المؤمن ابن علي . كذلك لا يحسن التغاضي عما استقاه سعد زغلول باعث الشعب المصري ورائد عبد الناصر من نظريات الشيخ عبده .

وأخيرا . وبالنظر الى الجزائر . فمن التاريخ سوف يثبت أن ثورة غرة نوفمبر 1954 لم تكن حدثا مرتجلا أو هي كما قيل « رعد قصف في جو عمه الصحو » . لكنها النتيجة الحتمية لتطور بطني الحركة ترجع أصوله ومغارسه الى الأمير عبد القادر ، وهو الذي كتب لجهاده بعد زهاء القرن أن يبعث من مرقده وينمو ويزدهر على أيدي الأمير خالد وحزب الشعب الجزائري وجمعية « العلماء » .

ونعود بحديثنا الى مقالة « المجاهد » أو بالأصح الى خاتمتها ، فأقول لك : انني لا أنكر أن « الفلاح يخلق خلقا جديدا ويصبح غير ما كان إن هو سلتح بالرشاشة » . بيد أن ذلك لا يكفي . بل ينبغي أيضا إمداده بأجهزة عقلية جديدة مع السهر على لاساخ

جذوره في تربته القومية . وإلا أفضت الحال به من مسخ الى مسخ ، وذهبت كل أعمالكم سدى .

إلى كلُّود رُوا

فَريْن ، 13 مارس 1959

صديقِي العزِيز ،

كم بلغ مني السرور مبلغه عند اتصالي برسالتكم . وبالفعل فقد كانت مطالعتي لـ « شمس على الأرض » هي التي أهابت بي أن أكتبكم منذ سنتين مضتا . لكنني لم أجد وسيلة للاتصال بكم وأنا قيد السجن .

انني لمتشكر لكم على حزمة الكتب التي وجهتم بها اليّ ، لكنني أحبطكم علما أن لاحق لي في تلقي الطرود البريديّة (وإذن سترد إليكم حزمتمكم) . لاشك أن الإدارة ترخص لنا في الكتب . لكن على شرط أن يحملها الينا زائرونا مباشرة .

وأصارحكم أن ما أبهجني خاصة هو ما أبدىتموه من الرغبة في زيارتي . واني لارجو أن يتم ذلك قريبا . وستسبح لنا الفرصة عندئذ لتحدث طويلا . وسأعهد في هذا الصدد إلى أحد محامي بالسعي من أجل تيسير الاجراءات القانونية اللازمة لخصوكم على

« رخصة الاتصال » .

هذا وإنني لشاكر حرصكم على أن ترسخوا في نفسي صورة (محبة) لفرنسا كانت قد ضعفت ملاحظها . ولقد عرض لي بهذا الشأن أن أتلفظ بكلمات قاسية « ومن شأن اليأس دوما أن لا يصيب » . وعلى الرغم من هذا فكونوا على ثقة من أنني ان تعلمت شيئا في السجن . فذلك هو منافرة البغضاء والاحقاد لسجيتي وعدم استطاعتي حملها .

كل ما حدث ويحدث بعالم الجزائر الفسيح المتحوّل الى محتشد رهيب والذي انتابه من الويلات ما تجاوز مدى الخيال . على أنه لايسعنا الا أن نرثي لحال هؤلاء المساكين . وبعد . فلم يخل شعب من صنف المجانين . ولا ثورة من خونة . لكن ما نستنكره هو أن يتظاهر الحكام الفرنسيون باعتمادهم على تلك الفئة المنحرفة لانجاز ما « تبقى من أعمال » : وانما هو سلوك سياسة النعامة الذي كم جرّ من ويلات نعلمها .

الى كلُّ رُوا

فرين ، غرة افريل 1959

صديقي العزيز ،

لقد بلغتني رسالتكم الساعة ، وهي التي كان يودّكم لو وجهتم بها اليّ قبيل ذلك التاريخ ، حتى تبلغني ليلة عيد الفصح . وعلى كلّ فقد أدخلت عليّ مزيد السرور ، وذلك الذي بهم . ولا عبرة مطلقا بتاريخ وصولها . ما دامت الأيام تتابع هنا وتشابه في رتابتها المضجرة القاسية . ومن كان عيشه في شبه جحر وزنزانة مظلمة ، فإنما يشعره بمرّ الزمن مايتلقاه من الخارج .

لقد قرأت فعلا ماينسبون تأليفه إلى جتور من شطحات جنونية . وانه ليملكني الدهش وتبلغ مني الحيرة مبلغها أمام عمل هؤلاء الأقزام العابثة (ولكل فريق متطرّف قزم عابث على شاكلة جبّون) ، وإن وجود أمثال هؤلاء ليبدو لي في منتهى البشاعة والنكر وسط شعبي بعد كلّ ما عاناه من كفاح (وسوف يتناول التاريخ بالوصف

الضرورات الحتمية وما كان عليّ أن أضطلع به بصفتي شاتيا
جزائرياً من واجبات شبه المقدسة . لا يخفى أن ذلك هو الذي جعل
لقاءنا يقلّ عددها ويقصر أمدها الى ذاك الحد . واني أبتهل الى
الله أن يكتب لها أن تستأنف قريباً وأن تكون أوفر عدداً وأبنع ثمره

الى حيدر بركات

فريس ، 6 أبريل 1959 .

أخي العزيز ،

أتوجه اليكم والى سائر أفراد أسرته بأخلص تمنياتي بمناسبة
« عيد الفطر » الخاتم لشهر الصيام . وأعرب لكم عما أرجوه من
نهاية قرية لتزاعات العالم الاسلامي ومآسيه .
ولربما فوجئتم بقراءة هذه الكلمة من طرفي لأول مرة ،
وقد تقضى ما يزيد عن العامين منذ ايداعي السجن . فتقوا اذن أنني
ما أحجمت كل هذا الزمن عن مكاتبتكم الا خشية لإدخال الضجر
عليكم وازعاج راحتكم . ولئن أقدمت على ذلك اليوم فلكي أقول لكم
لأنني طيلة مدة اعتقالني ما فتئت أفكر بشأنكم كمخلوق محب
الى قلبي وتصالني به صداقة عميقة مشفوعة بالاعجاب بفضائله
والإجلال لشخصه .

ولئن أسفت لشيء فات فلاذني لم أتعرف عليكم عن كثب ،
وما غمت ما كنت أبغيه من ملازمتكم . لكنه لا يخفى عنكم أن

إلى صديق فرنسي

فرين ، 24 أفريل 1959 .
عزيزي ك ...

لقد خصّصت رسالتك الأخيرة بأكملها لبحث موقف الكنيسة من حرب الجزائر . لكن ليت شعري هل تظن الواقع بتلك الدرجة من البساطة الحالية من كل تعقيد ؟ وهل تعتقد أن الكنيسة قد قامت بما يجب عليها وبما هو في استطاعتها بالجزائر ؟ إنني لا أعتقد ذلك مطلقا . وبهذا الصدد أنصح لك بأن تطالع خواطر الأب م . د . شنو وقد نشرت بالعدد الأخير من « الفكر Esprit » حول « الحرية والحقيقة في معتقد المؤمن » .

واستهل الكاتب موضوعه بسرد ثلاث قصص : الأولى إدانة القديس سان توماس لاعتناقه الفلسفة العقلانية اليونانية ، والثانية ما حدث بعد ذلك بثلاثة قرون من سجن الكردينال مورون بأمر من البابا بولس الرابع ، والثالثة والأخيرة ما كان سنه 1910 من تشهير بالأب لاغرانج اثر اقحامه المنهج التاريخي في تفسير النصوص

المقدسة . يقول الأب شنو : « وإنما مردّ هذه الأحداث كلها إلى قيام نزعتين في المسيحية هما في الواقع حالتان دائمتان للتوتر في عالم التفكير المسيحي ... » . ولئن قصّ علينا قصصه الثلاث فذلك لأن « تلك المآسي الثلاث التي تسردها قد جعلنا ننظر في غير ما حنق أو نلحظ إلى بعض الأحداث المتأخرة التي أحزنت وبلبلت أفكار الكثيرين من ذوي الايمان الصميم » . ولاشك أنه يعرض هنا بحرب الجزائر ، وهي التي تصارعت حبالها النزعتان :

- الأولى يمثلها بعض رجال الكنيسة ، وعلى الأخصّ الارشالية الفرنسية التي استنكرت في مارس من سنة 1958 أساليب التعذيب واعترفت بحقّ الجزائر في نيل استقلالها .

- والثانية تتزعمها « الحركة الكاثوليكية المناهضة للثورة » التي لم تتحرج من تبرير التعذيب . فهذه مجلة « الكلمة » (Verbe) الناطقة بشأنها تقول مثلا : « لاجرم ان الشرائع تقرّ تلك العقوبات ، ولربما كان المستنكفون منها متأثرون بتيارات عاطفية لا تمت بأية صلة الى الأخلاق » . أما وجه الحلّ للقضية الجزائرية فهو بسيط جدا في نظر ممثلي نزعتنا هذه ، حيث كتب الأسقف لاجبي . مدير « مشروع الشرق » ما نصه : « لقد كان على أمتنا أن تسارع الى ايقاف وحتى . عند الاقتضاء . الى اباداة أول فوج من الفهود الزارعة للموت . ونحن نأسف أن عملنا لم يتمّ لصدّها وقمعها على الفور . وبمتهنى الحزم والصرامة . وفق ما كان يتشوف اليه تسعة ملايين من العرب . ممن يسعدهم أن يظلّوا فرنسيين .

إلى صديق فرنسي

فريين ، 13 ماي 1959 .

عزيزي ك ...

هذا ج. ج. سرفان شريبير J.-J. Servan-Schreiber يقتفي أثر
الكثيرين ممن سبقوه فيؤكد في مقال له بمجلة « الأكسبريس »
L'Express أن قضية أودين Audin عبارة . بالنظر إلى الفرنسيين
عن صورة متكررة في زمننا لقضية دريفوس Dreyfus الغابرة . وأنت
نفسك حينما وجهت إلي بكتاب فيدال ناكي Vidal-Naquet صحة
رسالتك الأخيرة قد ذكرت لي قضية دريفوس .

أجل . ان هنالك لكثيرا من أوجه الشبه بين القضيتين ، وذلك
على الأقل باعتبار خمود الفكر العام المدهش ازاء الاولى ، وهو
ما يصفه لنا وبأسف له أحد أبطال الكاتب القصصي ر. مارتين دو غار
R. Martin du Gard عند نشر قضية دريفوس اذا يقول :
« ان فرنسا لك المرأة السكرى التي زاغ بها البصر . ولم تعد تميز الحق
من الباطل . ولاتعلم أين العدالة . لا . بل قد هوت إلى الدرك

الأسفل ، وخبثت كل الآمال » . فليت شعري ، ماذا كان يكتب
مؤلف « جان باروا Jean Barois » لوبعث من مرقده وشاهد
بعيني رأسه تدهور بلاده اللاجثة في الجزائر إلى أساليب بلغت من
الفظاعة والنكر ما لم تبلغه النازية في أنذل وأشرس مظاهرها . تالله
لو شاهد الجرائم المقترفة بالجزائر . وهو الرجل الذي كان يؤمله
مجرد التفوه بكلمات تعذيب وتطهير واعداد سريع مرتجل ، اذن
لارتجف من الهلع ، ولما تمالك من الشعور بالحجل ازاء صمت
أبناء جلدته ولا مبالاتهم .

ولاغرو . وهذا هو الفارق الأول بين قضيتي دريفوس
وأودين . فقد اهتز الشعب الفرنسي كرجل واحد في طالع هذا القرن ،
مما أدى إلى تبرئة ساحة دريفوس . واحتفظ بذلك لفرنسا بملاحمها
المألوفة مرتسمة في أفئدة أجياء العدل وعشاق الحرية . لكن
من المستبعد أن يحدث اهتزاز مماثل في قضية أودين . مما قد يسيء كل
الاساءة إلى تلك « الصورة المرتسمة في القلوب لفرنسا » : اذ الأمر
على نقض ما يذهب إليه موريك Mauriac ، ولا أثر للخوارق
والمعجزات في علاقات الشعوب بعضها ببعض . لهذا
هذا وقد تتضح لنا فوارق أخرى بين القضيتين . لقد كانت
قضية دريفوس حدثا منعزلا عن غيره فريدا في بابه غريبا في
منحاه . أما قضية أودين فكانت رمزا ودليلا يكشف لنا الحجب
هينا حولها . فكيف كان هنالك من « مفقودين » و « متحررين » قبل
موريس أودين وبعده ! ثم إن من خاضوا المعركة من أجل مراجعة

قضية دريفوس انما كافحوا لاغاثه رجل حكم عليه ظلما . أما
أودين فقد لفظ أنفاسه ولفظها تحت التعذيب . ويقيني
أنه لاسبيل الى فصل محاكمة قاتليه عن محاكمة سلوك الجيش الفرنسي
بالجزائر . وعن وضع الاستعمار نفسه في قفص الاتهام . ومهما
ارتآه . ل . شوارتز L. Schwartz فلاسبيل الى إثارة قضية أودين دون
أن تثار معها القضية الجزائرية بما تفرضه من حل .

انني لأشعر ، يا عزيزي ك . ، بأن موت أودين وشهادة
علاق Alleg قد ساهمتا الى أبعد مدى في تبصير الرأي العام
الفرنسي والعالمي حول مأساة الجزائر . واذا ما امتنعت مجموعة ،
أيا كانت . حرمة الانسان وداست كرامته متخذة من ذلك شعارا
لها ، فلا مناص لها إن عاجلا وإن آجلا من أن تقضي بنفسها على
رصيدا من المهابة أمام العالم قاطبة . غير أن ثمة خطأ كثيرا ما
ارتكبه في عدة بلدان . حيث ينظرون الى قضيتي أودين وعلاق
كما لوكانتا حدثين فريدين في بابهما وخارجين عن مألوف الناس
في الجزائر . فما كان للشجرة أن تحجب الغابة عن الأنظار . وانما
الغابة هنا عبارة عن غيل تألفه الوحوش والسباع . إنه ذلك
الغيل الجزائري الموبوء الذي لايعلم إلا الله وحده والراسخون في
العلم عدد من « فقدوا » فيه اثر محاولة منهم للفرار . كما حصل لأودين ،
وعدد من ذهبوا فيه ضحايا للتعذيب المسلط عليهم من أجل الحصول
على اقرار منهم في تهمة . بيد أن أولئك الهالكين والمعذبين كانوا
من لفيف الناس المجهولي الهوية او يكادون . ولم يكونوا من ذوي

الشخصيات البارزة في الجامعة أو في سلك الصحافة . ولم يسعدهم
حظهم بأن يكون لهم بفرنسا أقارب أو اصدقاء يملؤون العالم صراخا
حول قضيتهم . وبالتالي ، فلنقلها دون موارد ، فقد كانوا دوما
جزائريين أفارقة ومن المسلمين دينا . انهم لجرذان نذلة . أليس
كذلك ! ...

المتمنين للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين . والثانية بمكتبته في
دار النشر لغليمار Gallimard

وقد بقيت عالققة بذاكرتي منه صورة رجل لاريب في أنه
وثيق الصلة بالتربة الجزائرية ، وان لم يفهم شيئا من واقع الشعب
الجزائري . انما ظلت « جزائريته » قابضة في نفس مستوى « مدرسة
الشمال الافريقي » .

وبودي أن أجعل عنوان هذه الدراسة « كامو الناكث العهد » .
وأجعل في طالعها هذه الكلمة الماثورة عن أستاذه جان غرينييه
Jean Grenier (« لا عمل جليل دون وفاء . أي دون إيمان راسخ
على الدهر ») فإنما حياة كامو عبارة عن سلسلة من المواقف المتسمة
بالخلف والتكرار لسالف العهود . فهي « السقوط » بأثم معناه . لقد
طالما تغني في كل موطن بحبه للجزائر حتى اذا ما أمست هذه
الجزائر في ميسس الحاجة إليه آثر الصمت والتخلف والحذر .
هذا . ونحن نجده في كتابه « الرجل النائر » المتسم بالخلف وعدم
الانسجام . نجده قد حاول التعبير عن مفهوم له (هزيل جدا في
حقيقته) للعمل الثوري . ويوم أن ثارت الجزائر ارتقت منه مجرد
شهادة لفائدتها فما كان منه إلا أن رفع عقيرته متذكرا لها مزدريا بها .
أما القالب الذي سوف أفرغ فيه دراستي تلك . فلا أعلم شيئا
عنه الآن . ولئن ارتضيتها فسوف أعهد بنشرها إلى مجلة « الأزمنة
الحديثة » . وإلا فإني مرسل بها في صورة « كتاب مفتوح إلى
البير كامو » . واعتزم بعد ذلك القيام بدراسة حول ابن خلدون :

إلى أُنْجِي

فرين ، 10 جوان 1959 .
أخي العزيز ،

لكل منا معبد يكنه بين أضلعه وان تغير من حيث محتواه :
فقد تختفي عن أفقه بعض الأسماء وتلمع فيه أخرى منها
المتواضع المحتشم ومنها المتألق المزدهر . وكنت قد أفضيت
اليك أن الرافعي والزيات يحتلان الرواق العربي من الهيكل بينما
يحتل مونييه وكامو جانبه الفرنسي . لكنني ما لبثت بمزيد اللوعة
ومنتهى الأسى أن أقصيت عنه كامو ... وإنتك لتعلم كم كان يبلغ بي
الاعجاب حين اتحدث لك عن « الجاليات رقم 1 » .

وها انا ذا من جديد انهمك في مطالعة آثار كامو لأنني أعترم اعداد
دراسة بشأنه لن أرمي من ورائها الى الخط من مكانته أو التحطيم
لصنمه ، انما غرضي أن أعبر عن وجهة نظر لمكافح جزائري
حول موقف كامو . وقد سنحت لي مقابله مرتين (في سنة 1955
أو 1956) : الاولى بمحل ادارة « الاكسبريس » مع بعض الرفاق

قابذل ما لديك لتوافيني بـ « المقدمة » وبكل ما اتصل بمؤلفها
بين ما تبقى من مكتبتنا .

إلى كلُّود رَوَا

فرين : 3 جويلية 1959

صديقي العزيز ،

تلقيت الساعة رسالتكم الودية المعربة عن تضامنكم معنا
وتأييدكم لنا . ولم تنح لي مع الأسف أن أطلع لا « الأكلة » La Gangrène
ولا مقالكم بجريدة « لويسرفاتور » L'Observateur وذلك لسبب
بسيط . وهو عدم السماح لي بذلك . على أن من زاروني في السجن
قد حدثوني عن اشمزازهم وبالع امتعاضهم ازاء طرق التعذيب
التي وصفها الأخوة الخمسة (واذ كانت لي بعض المعرفة بمعظمهم
فأنا أصدق روايتهم) ، وحدثوني أيضا عن موافقتهم لما عبرتم
عنه في مقالكم . لكنما يتهاك بعض الفرنسيين على اتلاف « صورة
ما ألفناه عن فرنسا » بينما طائفة أخرى منهم تبذل طاقتها
وتسمى جهدها في الحفاظ عليها . انه لسر المانوية الباقية آثاره بهذه
البلاد ! وكم أصاب سنغور حيث يقول : « اللهم اغفر لفرنسا المحسنة
التحدث عن الطريق السوي والمنحرفة عنه » .

ولم أتذكركم فقط لمجرد مقالكم عن « الآكلة » . لقد حدثوني عن حصّة اذاعية لكم عن ماريفو Marivaux ، وعن سوانح لكم بشأن آلان Alain . وعن نقد لاذع لرباعية لاورنس دورل Lawrence Durrel القصصية ... وانني لألتقي بكم حتى اثناء مطالعاتي للكتب : وكذلك أعر على الصورة الوجيزة التي رسمها لكم ادغار مورين Edgar Morin ولئن كان « نقده الذاتي » مؤثرا من بعض نواحيه . فإن مواقف من القضية الجزائرية أشبه بعبث صياني . مما قد يثير استغرابنا على أقل تقدير . لاسيما من طرف « ماركسي » مثله .

وقد أنبأتموني بما ألتّم من مرض فادح بوالدتك . وانني لأشاطركم هذه المحنة . وأعلم عن خبرة أن هذه المآسي الفردية مهما بلغ من صغرها ازاء « المأساة الكبرى » ، فهي ليست دونها إشارة للآلام .

إلى حيدر بركات

فرين ، 6 جويلية 1959

أخي العزيز ،

لقد تلقيت رسالتكم في ابانها ، ولم أجكم عنها لسببين : أولا لأنني كنت انتظر الفراغ من مطالعتي للضعة الثانية من « وجوه اسلامية » ، وثانيا لأن صحتي لم تكن بالجيدة في هذه الآونة الأخيرة .

ولتسمحوا لي أن أعرب لكم عن مبلغ تأثري لما أبدىتموه بحوي من عطف ينضج بالمودّة . وقد ذكرت ذلك في رسالة الى والدي الذي عهد الي أن أبلغكم عنه تحية الأخوة والاجلال . وقد طالعت بمزيد الاهتمام « مقدّمكم للطبعة الثانية » . وكذلك الباب الاخير المتناول موضوع « البلاد الاسلامية بعد الحرب العالمية الثانية » ، وخاصة الفقرة المتعلقة باخواننا المسلمين بالانحاد السوفييتي . وتعوّزنا ، فيما أعتقد ، التصانيف القيمة الموضوعية في هذه المادة : أما كتاب فنسان منتاي Vincent Monteil الذي برز

في السنة الماضية فلا أظنه كفيلا بسد هذا النقص . وقد كنت منذ سنتين ونيّف طالعت بمجلة « الفكر Esprit » مقالا شيقا جدا بقلم م. بنيغسن M. Bennigsen (ويبدو أنكم حينتموه الحظ الاوفر من تقديركم) عن حياة وآراء سلطان غاليف Sultan Galiev . فهل لكم أن تتولوا ارشادي الى مصادر أخرى لها صلة بالموضوع ؟
ولاني لأرجو أن تتضمن الطبعة المقبلة لـ « وجوه إسلامية » بابا خاصا بالجزائر . تلك « الجزائر التي تراق اليوم دماؤها في حرب قاسية فظيعة . والتي سوف يكتب لها انتهاج سبل التطور الحتمي وفق الاتجاه التاريخي المرسوم لها » . كما أرجو أن أقف في كتاب « الاسلام في مفترق الطرق » على أصداء لمحادثات سلفت لنا حول بعض المواضيع التي تثير لدي المزيد من الشغف والاهتمام .

إلى صديق فرنسي

فريز ، 19 جويلية 1959

صديقي ك ...

انني لأدرك مدى تأثرك وانزعاجك لمطالعة « الآكلة » ، وأنت تسألني هل سلّطت عليّ أساليب « الاستنطاق » الوحشية ، حيث وجدت اسمي ضمن من ذكروا بذلك المصنّف . والحق أن أساليب التعذيب التي سنت بالجزائر لم تكن قد عبرت البحر الأبيض المتوسط الى فرنسا ساعة إيقافي في فيفري 1957 . على أن الداء ما لبث أن ظهرت عوارضه بفرنسا . ولربما كان أحد العوامل في ذلك هو عودة الشرطيين الفرنسيين الى وطنهم بعد أن عاثوا في المغرب وتونس فسادا . وسرعان ما نقشت العاهة . وليس من المصادفة أن يصدر ذلك الكتيب تحت عنوان « الآكلة » .
أما عن إيقافي فأندكر تلك الليلة التي قضيتها بمستودع الإيقاف ، أكثر ست وثلاثين ساعة من التحقيق . وكانت ليلة مُضنية ستبقى الى الأبد بـ « حقبة ذاكرتي » (على حدّ تعبير

رأبليه Rabelais) . وكانوا قد زجّوا بي هناك في غيابة السجن
إلى جانب صعاليك يرتجفون بردا وقد تنازعني هموم وهواجس لأعداء
لها تلذعني وتنخرني وتكاد أن تأكلني أكلا . لقد كان يثير حنقي أن
يحال بيني وبين المعركة ورفاقي في المعركة . وحلم الفرار يلعب
سرابا بين عيني . بينما أجدني قطارا فصل عن جادته وأوقف
عن المسير . هذا إلى تخوفي وقوع أهل ودي ومن أحبها في شر
أحذره .

ومن حولي ثلثة من سكتيرين وصعاليك ، ومن نصابين
وقوادين ، ومن سفلة وباعة خمور . كنت بكلمة أوجز في بؤرة
شياطين .

ولقد تراني لاهيا عابثا في كلمتي هذه ، متلعبا بالألفاظ .
وتلك وسيلة كغيرها لتوطين المرء نفسه على اللامبالاة وإطراح الهم .
وسيلة كغيرها لقتل الوقت (حتى لا يقتلنا الوقت) والتحرر من
الهموم . بما في ذلك ولاشك آونة من تعرض للويلات . ولو أنني
كنت شاعرا لقلت لك على غرار أكتافيو باز Octavio Paz .
" انني مكافح للصمت والجلبة بابداعي الكلمة : انها الحرية
الخلاقة لنفسها والخلاقة لي في كل يوم " . وكذلك لو كنت رجلا
سياسة لحدثت بما تصنعه الكلمات . لكنني لست بالشاعر ولا
السياسي . انني لأومن بسحر الكلمة . ولكنني اعلم له حدودا يقف
عندها . فأنت أعلم الناس مثلا أن الامم لا تشفى أمراضها بالكلمات ،
كما لا تحل مشاكلها بمحض الشعارات .

رسالة مفنوخة إلى البير كامو

فرين ، 26 أوت 1959 .

إن من الظروف ما يتطلب من البشر مجابهة سريعة حازمة ،
مما يجلب من الذود عن شرفهم . والا فإلى للخيبة وضبعة الآمال .
وان هذه المواقف المشرفة وتلك الانتفاضات المحمودة للانسانية
الما بتقمصها في الغالب فطاحل الفكر . ممن يرفعون عقيرتهم
كلما ازدريت الحريات وانتهكت الحقوق . وكذلك توالت صرخات
الأحرار تجاه الجرائم التي تخللت هذه الأحقاب الأخيرة في جو
صاحب من الوحشية والضوضاء ، وهي الجرائم التي ما انفكت
معالمها شاخصة بمواطن صبت عليها اللعنات آونة وحظيت طورا
بهالات الشهداء . شأن غربيكا . وأوشويتز . وهيروشيتا . وبودابست .
والسويس ...

أما في أيامنا هذه فيتمثل التحدي للضمير الانساني في
المشكل الاستعماري متمثلا في الفظائع المنجزة عنه ... وليس من شك في
أن الحرب الجزائرية هي أكثر حلقات المأساة دماء مهراقة وآلاما .

لاسيما باعتبار شناعة الطرق المتبعة من طرف الجيش ورجال الشرطة من الفرنسيين . بيد أن هذه الطرق التي أثارت استنكار العالم بأسره لم يكن لها بفرنسا سوى البطي جدا من ردود الفعل .

ولما أن ظهر منذ عام ونيف كتاب « التعذيب » كان في ظهوره مفاجأة أليمة لعدد من الفرنسيين الذين ما كان يخطر لهم ببال أن التعذيب أسمى بالجزائر سنة متبعة « في استنطاق المتهمين » ، وأنها بصدد التسرب خلسة الى فرنسا . هذا بصرف النظر طبعاً عن العدد الجم من لايزالون متغاضين عن أمرها .

وقد ثارت عندئذ ثائرة أساطين الأدب الفرنسي من أمثال مارتين دوغار Martin du Gard ومالرو Malraux وموريالك وتعاليت أصواتهم بالاستنكار لتلك الظاهرة . وقد تبين لهم أنها قد تنال من حسن سمعة بلادهم . على أنهم لم يحدوا في ذلك عن سنة الأجداد من أسلافهم الذين أبت لهم شيمهم البقاء بمعزل عن المعركة فلم يترددوا في النزول الى حلبة السياسة لنصرة المستضعفين والمقهورين والنضال في سبيل العدالة والحرية . ولا سبيل في هذا الصدد أن نتناسى تشهير فولتير بمظلمة كالاس وتنديد هوغو بجرائم من سماه « نابليون الصغير » . ولا ما كان من مناصرة لوتي « تركيا المحتضرة » ، وتعرض زولا نفسه للشتائم والضرب في « قضية دريفوس » . على أن أصوات الاحتجاج المتضافرة التي ارتفعت - اثر نشر كتاب « التعذيب » . ثم اثر ما كان من مصادرتة - كان يعوزها صوت لم يكن بأقلها شأنا . وذلك هو صوتكم أنتم يا البير كامو .

ولم يخل ذاك الصمت من طرفكم أن أثار دهش محبيكم والمعجبين بآثاركم . وقد كان كل منهم يتساءل : ما بال كامو « الجزائري » ؟ ثم ما لبث السؤال أن تحول الى انتظار مشوب بالحيرة حين برز أخيرا كتاب « الأكلة » .

بيد أننا نحن الجزائريين لم يطل بنا التخمين بهذا الشأن إذ كنا نعلم من زمن أنك سوف تلزم الصمت هذه المرة أيضا .

لقد كنا منذ عشر سنوات خلت على مقاعد الثانوية . ونحن ثلاثة من الفتيان الجزائريين قد تشبعوا بآثاركم . ولئن لم تكونوا برائدنا في حلبة التفكير فلقد كنتم قدوتنا . على الأقل في أسلوب التعبير . وكان يزيد أسلوبكم روعة في أنفسنا ما كنا نعتر به من انتسابكم إلينا . وكان يزيدنا فخرا أن قد تسنى لابن من أبناء الجزائر مثلكم أن يبلغ بمفرده الى قمة المجد .

وكنّا نقول في أنفسنا : انها للمرة الاولى التي يتفطن فيها كاتب جزائري من غير المسلمين إلى أن بلاده ما كانت لتحصّر في الضياء الساطع . وسحر الألوان الزاهية . وفي السراب المتألق بالصحراء . وخفايا الاحياء العتيقة ، ومباهج الأسواق التقليدية الخلابة . وباختصار في كل ما أضحي مادة للأدب المستلهم من البلاد النائية . مما سئمه أذواقنا واضحي موضع كراهيتنا - ولكن الجزائر هي أيضا مجموعة من البشر باستطاعتها أن تشعر وأن تفكر وتعمل . وكنا نردّد كلمتكم الماثورة في الاصداع بمذهبكم : « انه ليسعني ، على الأقل ، أن

أقول : انها (أي الجزائر) لوطني الحق . وانني حيثما كنت من الأرض . فأنني لأعرف اخواني من أبنائها بما يملكني عند رؤيتهم من التهلل لمراى الاصدقاء . أجل انني لا أفصل بين ما أحبه في مدن الجزائر وبين حبي لِمَنْ سكنها من البشر « (1) . وكنتم . قبل ذلك بزمن . بذلتم الجهد في ادراك الواقع الانساني على وجهه بدلا من الهيام بالطبيعة ومفاتها . ففي سنة 1939 نشرت لكم جريدة « الجزائر الجمهورية » سلسلة من الفصول وصفت فيها البؤس الضارب رواقه ببلاد القبائل ، ولم تخشوا أن تعبروا بشأن الحكم الاستعماري عن رأيكم المناهض كل المناهضة لنظريات الإدماج المتفشية في الأوساط الرسمية .

وقد قلت فيما قلت يومئذ : « لئن وجد الغزو الاستعماري يوما ما مبررا له ، فلن يكون إلا بقدر بذل مساعدته لمن احتل أرضهم على الحفاظ بذاتيتهم . ولئن كان ثمة واجب علينا أن نؤديه بهذا البلد . فهو أن نتيح لأمة تسكنه هي من أشرف الامم وأكرمها سجية أن تظل مخلصه لذاتيتها ومصائرها » (2) .

ثم إنكم ، بعد بضع سنوات ، وعلى إثر أحداث ماي 1945 المفزعة . ولتيم وجهكم في غير ما تردد شطر الرأي العام الفرنسي في صحيفة « كومبا » Combat وعمدتم الى الكشف له عن بعض حقيقة « أجباء البيان والحرية » الذين كانوا آنذاك يترأسون

(1) « الصيف » ص. 102 .

(2) « حاليات : 3 - » ص. 90 .

الحركة القومية الجزائرية . واعترفتم يومئذ بأن « السالفة الفرنسية هي دوما متأخرة بمقدار عشرين سنة عن الظروف الراهنة » (3) كما تكهنتم الى ذلك برد الفعل المتوقع . ولأريب ، من طرف الشعب الجزائري تلقاء الإهانات المتوالية المنهالة عليه ، وخاصة تجاه الانتخابات المصطنعة الكاذبة التي ما لبثت أن بلغت القمة من المهزلة على عهد الوالي العام نيغلن Naegelen سنة 1948 . وقد كتبتم تقولون بهذا الشأن : « لكأنما قد زال عن هذا الشعب إيمانه بالديمقراطية منذ أن قدّمت له منها شبه الصورة المسوخة المزرية بها . فهو يأمل البلوغ عن طريقة غيرها الى هدفه الذي ما حاد عنه قط . وهو النهوض بحالته » . (4)

ولعمري إنك أصبت كبد الحقيقة . ولربما أمعنت في إصابتك . ولقد كان يخاطبنا بنفس اللهجة . منذ عشرين سنوات . خلت . أبناء جيلكم من قادتنا السياسيين . فكانوا يومئذ يصارحونا بما يغمرهم من المرارة والحسرة لخبية مساعيهم الحثيثة المتواصلة لكي يعترف لنا بكرامتنا الفردية والشعبية معا . فلقد كان يعترضهم ويقوم في وجههم من الجانب المقابل (جانب الحكم الغاشم) جدار من صمت ورياء : فما فتى الحوار مرفوضا ، والوعود منكوبة ، والحرقات مخنوقة . والصحافة مغلوطة ، والانتخابات مزيفة ، والمناضلون عرضة للتشريد ...

(1) « حاليات : 3 » ص. 110 .

(4) « حاليات : 3 » ص. 113 .

وعلى الرغم من ضرب المثل بنا في الجلد لم يعد باستطاعتنا أن نصبر على هذه الألعاب المتتابعة بلا حصر ، ولا أن نثابر على حمل عبثنا المرهق . على غرار سيزيف الاسطوري . وهو ما حدا بنا الى السير نحو هدفنا دون جعله موضوعا للنقاش ، انما كانت الوسائل اليه هي موضع الأخذ والرد .

وكذلك كنتم أدري الناس بخصاصة الشعب الجزائري وما بلغ اليه من بؤس مادي ومعنوي . وشاهدتم عن كثب ما بلغ اليه الازدراء بمطامحه وما كان يلقاه دوما من تهاون بشأنه ونكث للمواعيد المقطوعة له .

لذلك ما كنا بالمشيطين . ونحن المضطهدون وأبناء المضطهدين ، إذ لم يبق عندنا من ريب في أن كامو (وهو من عرفنا في التغني بالعدالة والحرية) لن يتخلف عن ضمّ صوته لأصواتنا والإدلاء بشهادته لصالح قضيتنا . فيما إذا نحن أشهرنا الأسلحة لاسترجاع حرية بلدنا وقرار العدالة فيه . وبالتالي . أفلم تساندوا في الواقع موقفنا سلفا اذ كنتم تقولون : « انه ليس من رأبي أن يجاب عن تسديد الضربات بالدعوات الصالحة . بل أعتقد أنه لامناص من حدّ السيف . فقد علمتني ذلك سني الاحتلال الأجنبي » . (5)

ولم يكن لدينا من شك في أن شهادتكم لنا لن ينحصر مفعوها في تقريب شقة الخلاف بين الأوروبيتين والمسلمين بالجزائر . بل ستساهم كذلك في بعث حركة عتيقة لدى الرأي العام

(5) « حاليات : 5 » ص 183 .

الفرنسي من أجل حلّ شامل لمشكلة الاستعمار .
لقد عرفتم « بكامو الجزائري » . ولم يكن في اقتران الكلمتين أيما نشار يחדش أسماعنا ويرهق حساسيتنا . ولا أيما تناقض تأباه مداركنا . وما كان يخطر على بالنا . ونحن نتمثلك على تلك الصورة المحبّة الى قلوبنا . بأنكم قد تعرضون صفحا عن آمال الجزائر ولا تحركون ساكنا لآلامها .

لقد مرّت عشر من السنين . ولقد كانت خبيثنا على قدر آمالنا المعقودة عليكم . يا لله ، لكم جدّت في غضونها من أحداث ، ولكم سالت من مياه . أستغفر الله ، بل من دماء ودموع على أديم هذه الأرض الجزائرية التي كم أهتمكم روائع من الآداب . وفي غرة نوفمبر 1954 اندلعت الثورة الجزائرية . لا « شبه » عد في جو صاح . بل نتيجة محتمة لمائة وعشرين سنة من نظام بغيض . وكانت النهاية المنتظرة لسلسلة متواصلة الحلقات من الإهانات النازلة بالشعب الجزائري والتي كنتم تتبعتم أطوارها عن كثب زمن مباشرتكم التحرير في صحيفتي « الجزائر الجمهورية » و « كومبا » Combat .

وإن ما كنا نرتقبه منكم ليس أن تؤيدونا على طول الخط . ولا أن تمجّدوا مجاهدينا . ولا أن تناصرونا « بقضكم وقضيتكم » . على حدّ تعبير سان جوست Saïnt-Just . وإنما أن تدلّوا بشهادتكم إصداً بالحق . والحقيقة هي أن الجزائريين لم يشهروا أسلحتهم لمجرد اللهو والمتعة . وهو ما يقتنع به كلّ دارس لتاريخ

وبالتالي . فقد أحسنت النضال عن قضية الأروبيين . لولا أن سمحتم لأنفسكم بتبرئتهم من كل الآثام . فقد كتبتم تقولون : « من ذا الذي عمل منذ ثلاثين سنة على قبرسائر المشاريع الإصلاحية . اللهم الا برلمانا منتخبا من طرف أبناء فرنسا ؟ ومن الذي كان دأبه الصمم عن ضجيج البؤساء من العرب ؟ ومن الذي ارتضى أن تتم عمليات القمع سنة 1945 دون أن تثور لها ثائرة . إن لم تكن الصحافة الفرنسية في أغليبتها الساحقة ؟ ثم ألم تكن فرنسا نفسها هي التي ما فتئت في راحة ضمير مستنكرة . وشغل شاغل عن الجزائر ، حتى إذا ما أهرقت دماؤها تفتنت عندئذ لها وأدركت وجودها بين الأحياء ؟ » (10) .

ان كل هذا . ويا للأسف . لصحيح . ولكنها نظرة لكم جد قصيرة وجدّ سطحية لواقع الأشياء . لكنكم لم يبلغكم شيء عن تلك القوى الخفية الجبّارة التي تدير دفة البرلمان الفرنسي تمويل طائفة من الصحافة الفرنسية . وما تنفك منيخة بكلكلها على سياسة فرنسا . ثم أما ترون ان من ساهم في القمع فهو الحري باللام كالذي ألجم فاه عن ذكره . هذا ان لم يكن أجدر بأن يؤنب ، وكذلك من انتهز بؤس العرب لنيل حظه من القوت والمتعة . أفليس هو أجدر بالمؤاخذة ممن اكتفى بغض الطرف عنه ؟

وهكذا ، فما كان يبدو أنكم تحبون من مأساة مشبهة ، وما كان من مواقف المصطنعة المثيرة والمشييرة الى تنازع فرنسا

(10) « حالات : 3 » ص 141

والجزائر لعواطفكم ، كل ذلك إذن ما كان سوى مخادعة وذرا للرماد في العيون . وها هي الثورة الآن اضطرتكم الى رفع اللبس ، وإمالة القناع ، والى الكشف عن وجهكم الحقيقي . وانه لوجه فرنسي من مستوطني الجزائر ، أي أولئك الذين احتكموا الى انعكاساتهم العنصرية أكثر من احتكامهم الى عقولهم ، وكان عامل الفرع رائدهم في ردّهم للفعل . وانه ليخيل البنا أنكم أردتم إثبات عدم انتمائكم الى طائفة من المثقفين سبق أن شهر بهم سوستيل Soustelle . « نحن يعترفون بأدبهم . ولا يعنون حقّ العناية بجماعهم » (11) . لقد نهالكم على تلك الآلة الضخمة للاستعمار ، فالتهمت « بها المشتكة اصبعكم وأمست في قبضتها . ومن يومئذ لم تتمالكوا من أن تستعملوا الرطانة السوستيلية . فلا حديث لكم الا عن الجزائر الفرنسية » (12) المهددة من طرف « تواطؤ غريب تألّبت علينا مدريد وبودايست والقاهرة » (13) . وبينما أنتم الذابون عن حوزة الأقلية الأوروبية أصبحتم أنتم المنقصون والمزدرون للحركة القومية العربية التي تقولون عنها « إنها أعرضت جانبا عن سدّ الضروريات المادية الهائلة لجماهير « نفاك متضخمة يوما بعد يوم ، وظلّت تحلم بوحدة اسلامية » . « كانت أسير تصورا وأبرز ملامح في مخيلة رجال الحكم بالقاهرة » . « في واقع التاريخ » (14) .

(10) « سوستيل : « المأساة الجزائرية وتدهور فرنسا » ص 1 .

(11) « حالات : 3 » ص 146 - 147 .

(12) « حالات : 3 » ص 146 .

(13) « حالات : 3 » ص 150 .

حقاً انه لما يوسف له أن يلجأ رجل بمتزلتكم من الفضل الى هذا الصنف من حجج سخيفة غثة . وأنتم من أيقنتم في ضميركم أن ثورتنا الجزائرية مجسمة للصميم من مطامح الشعب . وأنها من صنع أبنائه . والآن فكيف صمدت طيلة خمس سنوات ذلك الصمود البطولي في وجه جيش عصري موفور العدة تجاوز زهاء نصف المليون عدداً .

هذا ومن غريب أمركم أنكم وان أعلنتم ملء شديكم حبكم لـ « اخوانكم » العرب . فأنتم في الواقع تتباهون جهركم بازدياء كل ما مت بصلة للعرب والإسلام والشرق . ولئن كانت الجزائر في زعمكم هي « وطنكم الحقيقي » . فأنتم أجهل الناس بأمجادها الغابرة ، وقد بلغ بكم التهور في هذا الصدد الى أنكم تحدثتم عن مدن جزائرية « لا ماضي لها » (15) .

ولو أنكم ألمتم ولو إلمامة سطحية بتاريخ المغرب لعلمتم أن شعبنا الجزائري ليس من فصيلة الأحداث الطفيلية التافهة . وإن رسالته الفطرية . وإن اتسمت بسمه البحر المتوسط . فهي الى ذلك افريقية وعربية .

وقد اطلعتم على الرأي العام سنة 1956 . وعلى صفحات جريدة « الاكسبريس » أيضاً . بفكرة مهادنة بين السكان من المدينين بالجزائر . وإذ منيت بمبادرتكم بالفشل اعترزتم اللجوء الى برجكم العاجي ، لكنكم أمسكتكم عن ايضاح موقفكم ولم تحدثونا عن

(15) « الصيف » من ص. 93 إلى ص. 103 .

صرخوا في وجهكم يوم أن أخذتم الكلمة في الجزائر العاصمة . فربما أحدثت الضجة المتصاعدة نحوكم من أفواه الجماهير بكلمة « كامو إلى المشنقة » . ربما أحدثت تلك الضجة النكراء في نفسكم عين الأثر الذي عملته البندورة (الطماطم) في نفس غي مولي Guy Mollet حين وشق بها من طرف مستمعيه .

وفعلاً . فحين أمسكتكم القلم ثانية بعد سنتين لايضاح موقفكم ذلك . ما كان منكم إلا أن حررتكم مرافعة قاسية بإدانة ثورتنا الجزائرية . كذلك في مقالين لكم (16) ناقلين عن سوء النية لم تبسوا بنت شفة عن الجزائر الشهيدة التي أمست مناط الاعجاب بطولتها المتضاعفة على قدر المحن والأرزاء . وهكذا لم تتحرروا ، بعد أربع سنوات من الحرب . من تجاهل تضحية أمة معذبة وكرانها لذاتها . ولم تقيموا وزناً لرجالها الصناديد . ونسائها الصوامد تجاه النار والحديد والجوع . فالثورة الجزائرية . في مذهبكم هي عين الإرهاب ، ولادأب للمقاتلين في « الأدغال المعادية لنا » (17) سوى « الفتك بالابرياء » (18) و « التذبيح والتمثيل بالقتلى » (19) .

ولكن ليت شعري كيف تعرضتم للإرهاب وأسهبتم بصدده ، وتجاهلتم ما سبقه طيلة زهاء السنة من الكفاح المسلح الذي ظل

(16) « نهيد » و « جزائر 1958 » في « حاليات : 3 » .

(17) « حاليات : 3 » ص. 15 .

(18) « حاليات : 3 » ص. 17 .

(19) « حاليات : 3 » ص. 18 .

منحصرا في الأدغال ؟ ولماذا هذا التأكيد منكم بشأن الإرهاب ،
ومركم بسرعة البرق الحافظ على ما سموه « التهدة » . وإن كان
أشبه بالنظام السائد بفرسوفيا ، مما ضرب به المثل ، فأصبح
كناية يضيفون بها السر أو بالاحرى يميطنونه عن أفطع سياسة
لا انسانية للتقتيل . وهي السياسة التي لولاها لما خلق الإرهاب
القائم في وجهها .

وانكم لتدينون الإرهاب خشية أن تصيب ويلاته أهليكم (20) ،
وكثيرا ما تحدثتم عن أمكم بلهجة مؤثرة . فهل بلغ الى علمكم
أن بعضنا قد فجعوا في أسرتهن عن بكرة أبيها إثر أعمال
« التطهير » التي يقوم بها الجيش الفرنسي ، وأن آخرين قد فضحت
أمهاتهم (أجل . أمهاتهم . ياكامو) أشنع فضيحة على أيدي
الجنود الفرنسيين .

بيد أنكم أبيتم أن تنظروا حولكم وأن تطلعوا على الحقيقة .
وكانما استعصى عليكم أن تدركوا وقوعكم بدوركم في قبضة
التضليل والتلاعب الذي شهرتم به في كتابكم « الرجل الثائر » ،
وهو « أن تنزينا الجريمة بأثواب الطهارة وتتخذها شعارا لها » . (21)
ويبدو أنه لا امتعاض لكم مطلقا من عالم في قبضة الكابوس ،
ودنيا مروعة على غرار ما تخيله أورويل Orwell ، يضيف
فيها على الحرب لقب « التهدة » . وتسمى فيها اعمال التخريب

(20) « حالات : 3 » ص. 13 وما بعدها .

(21) « الرجل الثائر » ص. 14 .

والنهب « حماية للسكان » . وتدعى فيها المحتشدات « مراكز
لجمع » . والاعتبالات « انتحارات » .

وكانما عميت أبصاركم إزاء كل هذه المناكر ، فتفضلتم
باسداء النصح اليها . وحضنا (ويا للمهزلة) أن نتخذ من غاندي
أسوة حسنة لنا (22) . ولقد كان الأجدر بكم لو توجهتم من قبل
بموعظتكم الى رهطكم وإبناء جلدتكم . فلقد كانوا أولى الناس بها .
أما نحن فلئن أعجبنا مزيد الاعجاب بغاندي ومودعوته
الى بند العنف وما فتئنا نحيط ذكره الخالدة بإجلالنا . فنحن لن
نسى هذه الكلمة الماثورة عنه أيضا : « اعتقد في الواقع أنه إن
لم يكن مفر من الاختيار بين الجبن والعنف فلن أتردد في أن أشير
بأنهما (23) » .

على أنكم ما اكتفيتم بالوعظ وبث الأخلاق الفاضلة .
فأنتم على تظاهركم بالبقاء فوق المعركة وبإدانتكم للقمع والإرهاب
معا . قد اقترحتم علينا حلا سياسيا للقضية الجزائرية . هو
ويا للعجب نفس ما تقدم به ... لوريول . وقلتم عنه « انه
الجامع بين الميزات الحسنة لكل من الادماج والفيديالية » (24) .
وانه لمن سخرية الأقدار أن يصبح الحامل لجائزة نوبل ومن ساهم
في تحرير « الجزائر الجمهورية » ظهيرا ومساندا لواضع النظريات
المتخذة شعارا من طرف غلاة الرجعيين ومجلة « كارفور » .

(22) « حالات : 3 » ص. 17 .

(23) استشهد بها نهروفي كتابه « حياتي وأيامي في السجن » ص. 33 .

(24) « حالات : 3 » ص. 208 .

لامراء اذن في أنكم من ألد المعارضين لحصول « وطنكم »
 على استقلاله . فقد ناهضتم ما سميتوه بـ « سياسة التخلي والعجز »
 لأنها . في زعمكم « ملقية بالشعب العربي في مزيد من البؤس
 والفاقة » (25) . ونحن لا يسعنا الا شكركم على عطفكم هذا المتسم
 بطابع الرأفة الأبوية المصطنعة . مما قد أبداه نحونا ... اتيان بورن
 Etienne Borne وكثيرون من ذوي العواطف الطيبة ، وكفانا
 أن نجيبكم بكلمة ريمون هارون Raymond Aron (الذي أثبت
 اتسام آرائكم بنزعة الرياء ودحض حججكم المزيّفة) إذ يقول : « إنه
 لا يبدو في نظرنا من باب الحلّ المثالي لقضية انتشال الجزائر من
 بؤسها أن يوجه إليها بجيش يربو عن 400.000 من الجنود » (26) .
 وقتلنا الى ذلك انّ استقلال الجزائر تعوزه الشرعية . حيث
 « لم يصادق عليه الرأي العام الفرنسي » (27) . وعلى افتراض صحة
 مزعمكم هذا . مما لم يقدّم بعد دليل يؤيده . فانه لمن العجب . على
 أقلّ تعبير . أن يستهتر الديمقراطي الصميم ألبير كامو على هذا النحو
 السافر بإرادة الشعب الجزائري الصريحة .
 وقد ذهبتم أخيرا الى أنّ استقلال الجزائر معناه « تجريد
 1.200.000 أوروبي من حقوقهم » (28) . فليت شعري كيف
 أهملتم دوما الاستشهاد بأقوال الشقّ المعارض لكم في هذا الصدد .

(25) « حالات : 3 » ص. 11 .

(26) ر. هارون : « المأساة الجزائرية » ص. 49 .

(27) « حالات : 3 » ص. 199 .

(28) « حالات : 3 » ص. 26 .

وأنتم المتبجحون بـ « نراهتم الفكرية » ؟ ولو أنكم أخذتم أنفسكم
 بقراءة البيان الأساسي لجهة التحرير الوطني لوجدتم فيه « أن الثورة
 لا ترمي الى الالتقاء في اليمّ بالجزائريين الأوروبيين الأصل ، وانما
 هدفها القضاء على النير الاستعماري . وأنها ليست بحرب أهلية
 ولا حرب دينية . وانما غايتها الظفر بالاستقلال القومي لارساخ
 قواعد جمهورية ديموقراطية واجتماعية كفيلة بتحقيق المساواة
 التامة الحالصة من شوائب التفرقة بين كافة أبناء وطن موحد »
 (29) . وباختصار فإن ثورتنا ، على حدّ تعبيركم في « الرجل الثائر » ،
 ان ثورتنا ان هي جحدت وجود الأوروبيين « كأسياد » فهي
 تلث لهم الوجود بصفتهم « أفرادا لهم كيان ذاتي » .

أما أنتم . فلئن احتملتم وجودنا الى جانبكم قبل سنة 1954 ،
 باعتبارنا شبه ارقاء وبشرا من سقط المتاع (مما كان يتيح لكم
 تخيير الخطب الرنانة بشأن بؤسنا وخصاصتنا) . فاليوم تتذكرون لنا
 وتذكرون وجودنا بسبب ثورتنا وشقنا عصا الطاعة في وجهكم .
 وهكذا فمن يوم أن رفضنا اقامتنا على العسف والقهر وأبينا الا أن
 لننتهي « فضيحة القرن العشرين » حلت بنا الكارثة وصبت علينا
 نقمات كامو .

هذه حرب الجزائر ما تنفك محتدمة في موكب من الفطائع
 والآثام المستنكرة : فمن فاجعة القمع ، الى مهزلة التآخي ،

(29) مما استشهد به ك. ه. فافروود C. H. Favrod في كتابه عن « الثورة الجزائرية » .

إلى أضحوكة الانتخابات الكاذبة . كل ذلك وأنتم ، فيما يبدو ،
منصرفون بجل مهجنتكم إلى عملكم المسرحي . وليس في ذلك من عجب .
وأنتم ما فتئتم المولعين بالفن والجمال ، وممن راقهم التباهي بينوتهم
الروحية ليونان . لكنكم إلى شغفكم بالجمال قد آليتم على أنفسكم أن
تكونوا أوفياء لقضية المستضعفين المتهمين . فقد كتبتم قائلين :
« إن هنالك الجمال . وثمة المستضعفون ... وبودي لو أودوم على
عهدي نحو الأول ونحو الآخرين » (30) . فأني صنف من المستضعفين
عنيت بكلمتك هذه ؟ إنهم ولا شك ، أبطال روايات دستوفسكي ...
أجل ، إنكم ما تزالون رافعين عقيرتكم بالذب عن معاصريكم
المتهمين في كرامتهم إذا ما كانوا من أبناء المجر أو إسبانيا . ألا فتعلموا
إذن إن كنتم « تذكرون ربوع نشأتكم الأولى » أن إذلال البشر هنالك
شئنة مألوفة وسنة مطردة . ولئن كانت الشائم فيما مضى
مثالة علينا في الشارع وفي المكتب وفي عربة الترام وفي المعمل .
فنحن اليوم يسلطون علينا في منازلنا وفي غياهب السجون . وفي
أحيائنا الريفية وفي المحتشدات . نحن اليوم يسلطون علينا بحمة
« جيجين » وما دعي بـ « غسل الأدمغة » . وما إلى ذلك من ضروب
التنكيل الشنعاء . حتى الرهائن المتساقطة تحت الرصاص في
الساحات العمومية لم تسلم من شرها ...

فماذا أسديتم ، يا كامو ، لوطنكم المستضعف على هذه
الصورة ؟ لقد ذاع صيتكم في هذا الشأن بمواقفكم المتسمة بالصمت

(30) « الصيف » ص. 160 .

والتخلف وملازمة الحذر . وما دريتم أن من الحذر ما يكون أفدح
لنا من أية مغامرة . وأن من الصمت ما تترن صداؤه في الأذن
أروع من أقذع شتيمة ...

لا شك في أنكم رفعتم احتجاجا صارما ، ولسبب وجيه ،
على الزج بـ صديقكم ميزونسول Maisonseul « في السجن » (31) .
لهل نستخلص من هذا أنكم في اطمئنان من ضميركم لتعذيب
جميلة بوحيرد وهنري علاق Henri Alleg ، ومؤلفي « الآكلة »
والجمل الغفير من أضرابهم ، أو كنتم مرتاحين لاغتتيال « إخوانكم »
ابن مهدي وبومنجل وأودين Audin والتبسي وعيسات وكثيرين
غير هؤلاء ؟

لقد حاولتم يوما أن تضعوا تعريفا لحقيقة الجزائريين ،
وعزوتهم ما اتصفوا به من قوة في البأس وشدة في الشكيمة إلى
« تغلب القلب والعاطفة عندهم على عوامل اللبابة والحذق » (32) .
أما أنتم . يا كامو . فإن كل من عرفوكم يشهدون لكم بأن عنصر
اللبابة الذهنية والحذق أوفر لديكم من مادة المشاعر والأحاسيس
القلبية (وهو ما نقف عليه في غير ما مشقة عند مطالعتنا لـ « رسائلكم
إلى صديق ألماني » : وذلك هو موطن الضعف في شخصكم .
ألا إن المستضعفين بالأمس ، والثائرين اليوم ، والعادلين غدا
لهم أولئك الذين كنت تسميهم « إخوانك » . ولئن استضعفوا

(31) في مقالين برزا بجريدة « الموند » I.e Monde (ماي و جوان 1956) .

(32) « الصيف » ص. 95 .

حقاً ، فلقد أحرزوا أو فر نصيب من ذلك « الإحساس بالشرف » الذي سبق لكم أن أشدتم به (33) قبل أن تقبوا في عزلتكم التي توفر لكم أسباب الرفاهية . وهم إن ثاروا اليوم فلسوف يصبحون في غد قريب رجالاً أحراراً بفضل معاقبتهم وأدغالهم . ثم هم ، بالتالي ، العادلون الذين سوف ينهضون فوق الانقراض والخراب لينبوا الجزائر الجديدة بروح أشبعت تواضعاً واتقدت حماساً وإيماناً ، وسيعملون جهدهم على تطهيرها إلى الأبد من رجس اذلال الإنسان لأخيه الإنسان .

وهم يدعون إلى الاسهام في عملهم هذا الملتهب حماساً كافة أبناء الجزائر . بما فيهم أنتم يا كامو . على أنني أصرحكم بأنهم في هذه المرة لن تساورهم في شأنكم خوادع الظنون وكواذب الأحلام .

أما أولئك الذين كانوا منذ عشر سنوات خلت . وهم على مقاعد مدرستهم . ينسجون لكم الأكاليل من الأطراء والتمجيد . فهم ما فتنوا إلى اليوم يكبرون في شخصكم براعة الصياغة لفرر الألفاظ ، وجودة اللقاء لفرائد البيان . وبعبارة أوجز ما فتنوا يجلتون فيكم رجل المسرح ، أي الذي تحفك المساعي كلها في البحث عن أية مطابقة بين قوله وعمله .

إلى حيدر بركات

فريس ، 3 سبتمبر 1959 .
أخي العزيز ،

أعذر لكم . هذه المرة أيضاً . عن عدم إجابتيكم في الإبان . وكان سبب التأخر . هذه المرة أيضاً . يرجع إلى توعك أصابني . لكنني إن كنت الآن بالمستوصف فليس بموجب المرض . ولا بوصفي طبيباً (حيث لا يسمح لي بالمباشرة ما دمت سجيناً) . وإنما جمعنا هنا ثلثة من المناضلين الجزائريين بغية عزلنا عن بقية المعتقلين .

هذا ، وما ينفك بعض رفقائي ممن طالعوا كتابكم « وجوه إسلامية » يخرجوني بأسئلتهم بخصوص حياتكم . مما ليس بمقدوري طبعاً أن أجيبهم عنه . لذلك ألتبس من مكارمكم أن توجهوا البناء . إن كان الأمر بامكانكم « كلمة موجزة عن تاريخ حياتكم . وقد التمسها أيضاً مني الاستاذ محمد الذي سبق أن علق على « وجوه إسلامية » في مقال له كنتم حدثتموني عنه ذات

يوم مضى .

وما ينفك الأستاذ محداد مباشرا للتدريس بتلمسان وإن تقدمت به السن . وقد حلّ هذه الصائفة بفرنسا ، وحصل على الترخيص في زيارتي مرة واحدة إثر مساع له متكررة في هذا الشأن . وقد أتبع لنا خلال زيارته التحدث عنكم : ولكم كان بودة الاتصال بكم . لكن صادف أن كانت تلك ليلة مبارحته لفرنسا . كما تناول حديثنا تصنيف السيد ج. بارك Berque . [حول « العرب » الذي صدر أخيرا . ولئن لم يظفر الكتاب من جانبي بتأييد كليّ . فقد ألفت فيه القيم والصائب من الآراء . وقد تناول المؤلف فيه بحث مشاكلنا بروح موضوعية (مِمّا يندر وجوده لدى « المستشرقين » الذين قلّما تحرّروا من ربقة الاوهام الموروثة والمتأصلة في نفوسهم) ، وربما بجانب من العطف .

إلى ربي بني حبشي

فريز ، 13 سبتمبر 1959 .

سيدي ،

لقد فرغت نوا من مطالعة الصفحة الاسبوعية الفلسفية الجريدة « لموند » Le Monde (11 سبتمبر 1959) والمخصصة للحديث عنكم . فلم أتمالك من مكاتبتكم . انني طالب جزائري . وقد أودعت السجن من أجل نشاطي السياسي . ولم تكن قضبان سجنني الحديدية بالتي تحول بيني وبين وطني طيلة هاته الاشهر الاثني والثلاثين التي قضيتها معتقلا . إن قلبي وقلبه ليدقان على نفس الايقاع ، وإنّي لأحسّ مآسبه وما الطفأ لي قط أمل في غده الأفضل ... لقد أتبع لي منذ ست سنوات مضت أن أقوم بجولة عبر الشرق الأوسط . فزرت القاهرة ودمشق وبيروت وعمّان والقدس . ولقد استفدت الكثير من رحلتي تلك . هذا وما فتئت أعتقد أن الجزائر ثلاثية في جيلاتها : فهي

متوسطية وافريقية وعربية . لكنني في فترة إقامتي ببلدكم أتيت لي أن أدرك مبلغ أواصرنا نحن الجزائريين (أو بالأحرى المغاربة) بدنيا العرب . وليس ذلك منحصر في أجمادنا الغائبة (والتي كثيرا ما أهملت) ولا في لغتنا الجميلة (والتي كثيرا ما أسأنا إليها) . بل بدا لي أيضا أننا نقاسي نفس المحنة وتراودنا نفس الآمال .

قد يكون من باب تحصيل الحاصل وتقرير البديهي أن يقال عن بلادنا إنها مختلفة بشاسع المراحل عن الغرب . فنحن نحيا اليوم عصر نهضتنا وفترة انبثاق الوعي في ضمايرنا . وقد أجمع الكل على المضي قدما وتشديد البناء . لكن كيف يكون التشديد : فالشأن يدعو إلى الخلق لا إلى تقليد الغير . وإنه لمن الحسن التفتح للآخرين . على شرط أن يحتفظ المرء بأصالته ويبقى مخلصا لحقيقته . ومعنى هذا أننا بحاجة في نفس الوقت إلى رجال فكر ورجال عمل . وقد أدركت جليا أثناء رحلتي بالشرق أن ما يعوزنا . ويا للأسف . ليسوا هم رجال العمل (فليسوا هم قليل عندنا والحمد لله) . ولكنهم رجال الفكر .

لذلك قد كان لمقال جان لacroix حول « فيلسوف مصري : ربنى حبشي » أعظم الصدى في نفسي . إن قيام مذهب فلسفي عربي شخصي النزعة لن يكون إلا محمود الأثر . وإن في انبعاث نداء لمونيسي بين العرب لكسبا لنا لا يمكن أن نقدر له ثمنا (ومعلوم ما تدين به النخبة المسيحية المكافحة بفرنسا من منن جسام لأمانوئل مونيبي) .

وإنما أردت من وراء رسالتي هذه التعبير عن فائق اجلالي ومشاعري الأخوية نحوكم . وقد وجهت بطلبي من أجل الحصول على تصانيفكم حتى أزداد تعرفا على منحاكم في التفكير . وفي انتظار ذلك لكم يسعدني لو أتلقى من طرفكم كلمة تحمل الي في طيتها نسمة من ذلك « الشرق الجريح المناضل » المحبب الي .

إلى أبي

فرين ، غرة أكتوبر 1959 .

أخي العزيز ،

ها أناذا بالمستشفى منذ أكثر من أسبوع ، وقد بدأت أشعر بتحسّن في حالتي . ولربما كان ما يعوزني هو العزلة . فإنه ليخيل إلي أنني بصدد قضاء فترة اجازة واستجمام . حجرتني هذه فسيحة نظيفة يدخلها الهواء ؛ وكأنما هي غرفة بتزل ريفي ، وأول مالفت نظري بها هو ... مغسل الوجه (الافابو) ... وهو ما حرمته قرابة ثلاث سنوات . وغرفتي بالطابق الأسفل ، ولدي نافذة متناهية الاتساع (وذاث قضبان من حديد طبعاً) . وعندها أفضي معظم نهاري في المطالعة و« الاغراق في الحلم » ، اللهم الا ساعات الأكل والنفّس وتلقّي الزائرين . وتطلّ الغرفة على بستان صغير يليه حائط كبير ؛ وعلى بعد مائتي متر لا أكثر ارتفعت عمارات حديثه البناء . ويبدو عندي الساعة من الغريب أن أرى هنالك (بواسطة نظارتي التي صرت أحملها منذ فترة من الزمن) قلت :

أن أرى هنالك أشباحاً تتحرك وأناسا يعيشون طلقاء . حتى اذا ما أشرجت الأضواء عند المساء لم أتمالك من الشعور بالكبت والحسرة . وإن هذه الأضواء المتألقة هي أيضاً عندي مشهد جديد . لكأنما أخرج من نفق طويل أو من كهف مظلم . حتى دوي السيارات له أثره غير المألوف في أحاسيسي . والمهم أنني أنام الآن نوما طيباً هادئاً ، من الساعة 22 مساء الى السادسة صباحاً . وهو ما لم أنعم به قط منذ اعتنالي .

بحياتكم الخاصة . وسنجد من دون ريب تكملة لها في تأليفكم المنتظر
عن « القوقاز والثورة الروسية » .

إلى حيدر بئات

فريين ، 16 أكتوبر 1959
أخي العزيز ،

أنتهل إلى الله أولاً أن يعجل بشفائكم . وأسأله جلّ وعلا
أن يحفكم بعنايته في محنتكم . « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ،
ويرزقه من حيث لا يحتسب » (سورة الطلاق) . وعسى أن
يكون اقتراب اليوم الذي ستعرفون فيه على المغرب . فإن لكم
بين أبنائه لأصدقاء خلصا لأريب عندي في وثيق مودّتهم .
وقد يكون في إقامتكم بعض الزمن في الشتاء بجنوب الجزائر طيب
الأثر على صحتكم .

هذا ، وانني لأوافقكم على أن هناك الآن فرصة قد سنحت
للسلم بالجزائر . لكن بقي على المسؤولين الفرنسيين انتهازها للتفاوض
معنا . أمّا من جانبنا فإنّ ما قدّمناه من تنازلات جوهرية لدليل على
صدق نوايانا وشعورنا بالمسؤوليات .
وإنني لأشكر لكم ما أمددتموني به من إيضاحات تتصل

إلى ربي جيتي

فربين ، 17 أكتوبر 1959

صديقي العزيز ،

شكرا على رسالتكم المفعمة بالود . وقد قلت فيها : « لربما أدركتم يوما أن سجنكم كان اعتاقا لكم » . ولا ريب عندي في أنني سوف أشعر بذلك فيما بعد . وقد جدّ الزمن في سيره . أما ما بوسعي الآن أن أقوله فهو أن السجن كان خير أستاذ لي . أستاذ نزه عن كل عيب وجرّد كذلك من كل شفقة . وكان أول ما لفتته فيه هو ... أنني لا أعلم شيئا . ولا أضلّ بعد هذا أن ثمة مكانا آخر غير السجن يتاح فيه للمرء معرفة مناقضه بمثل تلك الدقة الفريدة من نوعها . ثم أنني اكتشفت بالسجن أن المعرفة أصعب مراسا من العمل . ولا أريد بالمعرفة الإلمام السطحي ببعض المعلومات . ممّا يكسب صاحبه بريقا في النوادي . إنما أردت ملكة النفاذ إلى اللب والصميم من كل شيء . وهي لا تكتسب إلا بتوخي رياضة فكرية طويلة النفس . كما تعلمت بالسجن كيف أطرح الأسئلة على

لنفس . فأجعل كل شيء وفي كل حين موضع نقاش . لا عن روح تحطيمية ، بل رغبة مني في أن أصل إلى الفهم . وإن أبرز سجة للأستاذ والزعيم السياسي إزاء التلاميذ والمناضلين لمي استدراجهما لهؤلاء وأولئك إلى التساؤل ، حتى يستأصلا بذلك من أنفسهم كل جرثومة لـ « كارتني » التقليد الأعمى والأخذ بالشكليات . وفي ذلك يكمن سر كل ما اتسمت به طريقة سقراط التوليدية من عبقرية فذة .

وقد طلبتم إليّ بيانات مفصلة عن حياتي . ولا يعني هنا إلا أن اعترف لكم أنه لو لا ما كان من تليتي . على غرار كافة المستعمرين (يفتح الميم) ، لبعض المطالب الملحة المتسمة بشبه القداسة . اذن لبلغت حياتي مبلغا مزعجا من فرط تفاهتها . لقد ولدت سنة 1932 . وتلقيت دروسي الابتدائية والثانوية بالجزائر . وشرعت في دراسة الطب بعاصمة الجزائر فأنتهيتها سنة 1956 بباريس (ولم يبق لي إلا تقديم أطروحتي للإحراز على الدكتوراة) . ولربما أسهب في القول لو أنني استعرضت لكم كل ما عشته من مراحل متتابعة للوعي : فمن وقوفي على عناصر مغايرة لذاتي (عند انصالي أول مرة بالمدرسة الفرنسية . في حين كنت لا أتكلّم سوى العربية في بيتنا) . إلى تعرّقي على الوضع الاستعماري (عند أول اتصال لي بقوى الشرطة وقد جاءت لإيقاف والدي بتهمة « القيام ضد النظام » سنة 1940) ، إلى حصول الاقتناع عندي بضرورة النضال القومي (على أثر انصالي الأول بالثورة وما تبعها من قمع

خلال أحداث ماي 1945) ... وفي جامعة الجزائر العاصمة . فطنت لخطر يعمل « من الداخل » حيث انكشف لي أن الطلبة الجزائريين (وهم قلة بالنظر الى الطلبة الأوروبيي الاصل) قد غلبت عليهم نزعة التناسي لأصولهم والانفصال عن أمتهم التي نشأوا منها . وذلك بموجب ما حصل لهم من ثقافة كادت أن تكون كلها فرنسية . (فويل لـ « نخبة » المصابة بعقدة التغرب وسط شعبها !) . وقد رأيت من واجبي رد الفعل . فأنشأت سنة 1952 باعانة صديقين صحيفة صغيرة الحجم فرنسية اللغة خاطبت عن طريقها مدة ستين . وبمنتهى العجز والتقصير . فئة شبابنا المثقفين (لا سيما من سميتهم بـ « المتحررين الزائفين ») . وحاولت أن أشرح لهم فيها أنهم وريثو حضارة جليلة القدر . وأن سنة 1830 لم تكن الفاتحة والبدء لتاريخ الجزائر . وأن على بلادنا أن تظل دوما متشوقة بنظرها إلى الشرق . وأنه لئن كان لزاما علينا التفتح لثقافة الغرب . فذلك على شرط أن نبقى أوفياء لأمتنا المستعبدة وأن نحفظ بأصالتنا وشخصيتنا التي صاغتها أجيال التاريخ ... ثم كانت الثورة . ومساهمتي في بعث الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين . وانضمامي الى جامعة فرنسا للجهة التحرير الوطني وفي النهاية ... السجن .

إلى جاك بارك

فرين ، 30 نوفمبر 1959 .

سيدي ،

لربما استغربتم أن تبلغكم هذه الرسالة من طرف سجين هو الى ذلك لم يحظ بعد بالتعرف اليكم . على أن اسمكم ليس بالكرة عندي . فلقد سبق لي أن سمعته مرارا وأنا طفل (وكان والدكم يومئذ . ان صدق الظن . هو المعني بالأمر) . ولكن ليس هذا بموضوعنا الآن . وإنما بلغت الي . خاصة خلال سني اعتقالي الثلاث . أصداء عن بعض الملتقيات الجامعية وما كان لكم من دور فيها . ولئن كانتكم اليوم فلاحيطكم بما كان لي من مزيد الاقبال على مطالعة ما خصصتم لموضوع « العرب » من صفحات دسمة المحتوى وجيزة اللفظ . ولقد كانت تلك مفاجأة سررت بها حقاً ، ولا سيما باعتبار أن معظم الغربيين (وخاصة الفرنسيين) الذين كتبوا بشأن الاسلام والعرب لم يستطيعوا « أن يقهروا ويتجاوزوا الطور الامبريالي من تاريخهم » ، ولأن يتخلصوا من ربة بعض الأوهام المتأصلة في نفوسهم

ولكم أصاب آينشتاين Einstein اذ صرخ يقول « ألا تعا هذا العصر الذي أمسى فيه تحطيم بعض الأوهام الباطلة أعسر من تحطيم ذرة من المادة ». وإن كل شاب عربي من جيلنا وفيما لقيمته وشاعرا الى ذلك بضاقاته الكامنة فيه و « بوضعه المعرض للخطر » سيجد صورة طبق الاصل لنفسه في فقرات عدة من تأليفكم ... ولتسمحوا لي الآن أن أصارحكم . مع هذا ، أنتي لا أوافقكم علو كل آرائكم . إنكم لاتجهلون أن ما حدث ويحدث بيلدي تجاوز شناعة ، مدى كل ما نتصوره . فاذا ثبت هذا عندهم ، فكيف تذهبون الى القول بأن الواقع الاستعماري ليس بالجدير أن يثير « الحنين اليه او الاستبشاع له » ؟ أليس ذاك هو موقف من آثروا الجلوس على الربوة بعيدا عن المعركة ؟ . أما فيما يخصنا فاني أعلم أن الأوكد والضروري هو أن نلتبي في نفس الوقت « متطلبات عالم علينا أن نستقه ورغبات انسان ينبغي إعادة بنائه » . لكن لا بد لنا من التحلي بالكثير من « الحلم » والشجاعة الأدبية لكي نتغلب على بعض الاحقاد ذات المبرر الشرعي (والى أبعد مدى !) ولكي نتناسى بعض الأحداث . مما يتعدى على الحقيقة تناسيه .

الى أخي

فريين ، 10 ديسمبر 1959 .
أخي العزيز ،

لقد قضيت عدة أشهر صحة ابن خلدون ، أو على الأصح صحة مقدمته . وكنت أشتغل في نفس الوقت بتصفح النص العربي المطبوع الذي وجهت به الي (في طبعة رديئة مع الأسف) ومطالعة ترجمة دي سلان De Slane الممتازة . وهذا الكتاب هو احدي روائع الأدب العالمي دون منازع . إن مؤلفه الذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي هو دون ريب أول عالم اجتماعي ومفكر سياسي في العصور الحديثة . وقد تأثرت خاصة بدقة تأملاته وعمق تحليلاته بشأن الدولة ومهمتها . والتاريخ ومدلوله . وهو الرجل الذي فتح آفاقا مذهشة أمام علم النفس (فكأنك تطالع بعض ماخطه تارد Tarde حينما تقرأ ملاحظاته حول مركب النفس أو حول التقليد) . وكذلك بالنسبة لعلم الاجتماع السياسي ، حيث ألح مثلا على التعارض

ما بين الحضرة والبدو . أو على دور العصبية في بناء صرح الدول . وما يقابله من عامل الترف في طور الانحلال .

وقد تجمعت لدي الآن طائفة من الملاحظات الكثيرة ، مما يصلح أن يكون شبه المسودة لدراسة حول ابن خلدون ، من صنف ما تصدره نشرات العتبة Editions du seuil في سلسلة « الكتاب الخالدون » Ecrivains de Toujours واليك بعض عناوين الأبواب :

- « اللحن الأخير » وسوف أحدد فيه مكانة ابن خلدون في الحضارة الإسلامية .

- « المنتشل من هوة النسيان » : وفيه أشرح العلة في بقاء اسم الرجل حيا دون غيره في الغرب ، وقد غمر النسيان كل من عداه . فأصبح بذلك الممثل الحضارة برمتها والمعبر عنها .

- « رحلة غير مألوفة » : ما فتئ أعلام الفكر من المغاربة يشدون الرحال الى الشرق لطلب العلم والتخرج فيه ، الا ابن خلدون فلم يرتحل الى الشرق الا في آخر حياته . وشغل بمصر المناصب السامية في سلكي التدريس والقضاء .

- « لقاء مع تيمور لنك » .

- « ابن خلدون وتوينبي Toynbee » : أرى من حسن الرأي أن نعد الى اجراء مقارنة بين المؤرخين . فلقد كان يخالغ كليهما شعور ملح بتدهور الحضارة في عصره وقرب موعد زوالها . ومما يسم الشهادتين بطابع الصدق أن الرجلين وصفا لنا ظاهرة

الانهيار وهما يعيشان وسطها . فوصفاها لنا من الداخل . وأقول عليك كي توجه الي بكل ما تقع عليه يدك من دراسات حول ابن خلدون . لاسيما ما كتبه ساطع الحصري (وهو صديق لوالدنا) وكذلك ترجمة ابن خلدون لنفسه الذي نشرها منذ سنوات بالقاهرة علامة مغربي يبدو أنه قد ازمع التفرغ لدراسة ابن خلدون : وأقصد به محمد تاويت الطنجي .

إلى ربي جيتي

فريز ، 4 جانفي 1960

صديقي العزيز ،

لقد بلغتني رسالتكم أول أمس . ومن حسن المصادفة أن وافق مقدمها حلول السنة الجديدة . فتفاءلت بها خيرا . فعسى أن تكون كذلك طالع يمن وبركة لما أسديتموه لي من مودتكم . وإني لأشد بكل حرارة على بدكم الممدودة الي من وراء البحر والجبال وجدد السجن ، لأن صداقتي هي الآن طوع يمينكم ، على تفاهتها المضجرة ، ولا يسعني الا أن أشاطركم رغبتم في لقاء قريب ان شاء الله .

وقد أثرت في رسالتكم السالفة مشكلة علاقتنا بالغرب . وقتلتم انه لايجدر بالمغرب تحديد شخصيتهم في صورة تعارض مع الغرب . وأنا أوافقكم على هذا الرأي ، حيث أعتقد أن من اعتمد المعارضة لشخص أولشي ما في ضبط شخصيته فقد برهن بذلك على ضياعها عنه وعدم ظفره بها وباء لاحالة مسعاه بالفشل ، ان

كان له معنى . بيد أنه قد يحسن بنا قبل أن نتساءل أي غرب نعني بكلمتنا هذه ؟ فهل هو ذلك المفهوم الذي علمناه واثقش في أذهاننا على مقاعد المدرسة . أم هو الواقع الذي جابهنا في سبل الحياة ؟ ذلك أنه لايجب أن يغيب عن أنظارنا أن اتصالنا بالغرب خلال القرن التاسع عشر لم يكن تعايش حضارتين وتآلفا بينهما ، وإنما اتخذ شكل القهر والهيمنة (مما حاولت عبثا أن تبرره خرافة « الرسالة المدنية ») وأسفر عن مسخ شخصيتنا والاقحام بنا في مجتمع قوامه لهديس المال واحتقار الانسان .

وفي النطاق الثقافي البحث (وأن مقتصر في تحليلي على الجزائر ، الذي يبدو لي أن الشرق الأوسط قد يخطئ . الى حد ما . هذه المرحلة التي نجتازها الآن) لا يأتي الامتزاج بين ثقافتين إلا بعد أن تكون قد وجدت بالفعل وحصل صراع بينهما . وهو ما لم يحصل مطلقا بالجزائر ، فالثقافة العربية شبه مفقودة بها . ولم يبق من خيط تاجع على دقته يربطنا بمغرب ما قبل 1830 سوى ما تمثل في العادات والتقاليد (وهي أخط مستويات الثقافة) والشعائر الدينية . مما احتفظ به الشعب بمجموعه في شكل ساذج ، بطبيعة الحال ، وإن صمد في وجه الأحداث . أما المتمون الى « النخبة » فمنهم من أصيب بالذبذبة واقتلع من جذوره ، ومنهم من وفقوا الى تحقيق « إعادة الكشف عن شخصيتهم » . لكن هذه الشخصية تظل ، بسبب حداتها ماثرة ضجة وصخب أكثر مما هي موضوع تعمق وبحث ، وهي أولع باللفظ وشغفظة منها بتنسيقها نفسها

وتشييدها هياكلها (وتلك هي مأساة جبلي خاصة) .
 وإياكم أن تظنوني . مع هذا . من سدة الماضي السدج
 والمولعين بتمجيده . بل على العكس من ذلك ، فإنه يهجنني أن يتعرف
 شبابنا الى السير نيتك . والتحليل النفساني والماركسية . الخ ...
 لكنني أعلم يقينا أنه لن يحمل أعباء المكاسب الغربية الكبرى
 ولن يوفق الى هضمها على الوجه المرضي . إلا اذا انبعثت مسيرته
 عن نواة بيته الأصالة ثابتة العروق في أعماق تراثنا الثقافي . وبعبارة
 أخرى عليه أن ينهل من معين تربيته قبل أن يكرع من المناهل
 الأخرى ويفتح للعلوم والأفكار والتقنيات الحديثة .

وانها . ولاريب . فكرة بسيطة . وربما مبتذلة . ولكنها
 مثار اهتمامي . وباحتذا لو أتيح لي أن أرددها مرارا وتكرارا
 على الاسماع فأوفر بذلك على طائفة من الشباب ما يلقونه من
 الويل في مرحلة بحثهم القليق عن الذات .

إلى ربي جيتي

فريين ، 12 جانفي 1960
 صديقي العزيز ،

شكرا على رسائلكم وعلى كتبكم التي وجهتموها الي . وأتبع
 لي بفضلها أن أقضي أسبوعي هذا برفقتكم . وسأعود الى مكاتبتكم
 فور انتهائي من مطالعة « حضارتنا في المنعرج » . أما الساعة فاني
 وقفا عند رغبتكم سأحدثكم كيف أقضي أوقاتي في كل يوم
 وفي الحقيقة أنه لولا آثار رحمة الله الشامل بعنايته دوما كل
 محاليقه . ولولا هذه الكتب المؤنسة العجيبة للوحدة . إذن
 لأصجرني مر الأيام والليالي على نسق متشابه في رتابته ولضقت به
 ذرعا . وقد تفشتي القول بأن السجن قد يكون الموطن الأمثل لتأدية
 بعض الأعمال الجوهرية الطويلة النفس ، لكنهم يتناسون آلاف
 المروض اليومية النافهة المعوقة للطائر عن التحليق (ان صحت
 الإشارة هنا الى أجنحة يحلق بها) ، وينسون « الحالة المعنوية »
 المؤاتية (مما لا يتوقر في كل يوم للسجين) . هذا الى الهواجس العديدة

التي تتنابك لذكر من أحببتهم وهم عرضة في كل لحظة للخطر الداهم ... بيد أنني أعتقد أن المرء باستطاعته دوما تنظيم حياته كي يستفيد من مقامه بالسجن . وكذلك وفقت منذ إيقافي الى أن أقضي أيامي في كنف حياة جماعية لا غبار عليها برفقة خمسة عشر من الاخوان كلهم مثلي من مناضلي جبهة التحرير الوطني . وقد اتخذنا شعارا لنا أن يفيد كل منا اخوانه بما لديه من معلومات ، مهما حقرت . ونظمتنا . تبعا لذلك . سلسلة من الأحاديث حول شتى المواضيع من اقتصادية وسياسية ودينية . الخ ... وعند المساء تغلق على كل منا حجرته فيختار لنفسه ما شاء من مطالعة أو إغراق في الاحلام أو كتابة رسالة أو انصراف للتأمل والفكر . وبالنظر الى شخصيا لم تكن مطالعاتي مختارة خلال السنة الاولى ، لكنني اتجهت فيما بعد نحو التاريخ (وخاصة تاريخ المغرب) وعلم الاجتماع .

وفي السنة المنصرمة كان لإضرابات الجوع العديدة أثره الفاحش في صحتي (فلكم من معارك اضطررنا الى خوضها من أجل أن يعترف لكافة المساجين السياسيين الجزائريين بحقوقهم في التمتع بنظام مغاير للنظام المتبع مع مساجين الحق العام ، وسلاحنا الوحيد هو اضراب الجوع) وكذلك تدهورت حالتي . وآل الامر الى نقلي الى المستشفى في شهر أكتوبر المنصرم نتيجة هزال بالغ اتابني في حالتي الصحية العامة وفي بصري . وبعد شهرين من الراحة التامة استأنفت العمل بدون ارهاق .

لكن كل هذا . والحق أحق أن يقال . هو لا شيء يذكر بجانب ما يقع بالجزائر . ولقد تعجز الكلم عن وصف ما يقترفه « متمدّنو الوحشية » (حسب تعبير فكتور هوغو V. Hugo) . ولكي تحصل لكم صورة عن ذلك أرجوكم أن تلقوا بنظرة على التقرير الأخير للمنظمة الأممية للصليب الأحمر . فليت شعري أين احتجب الضمير العالمي أمام كل هذه الدماء والدموع والآلام ؟ وإنه لا يمر أسبوع دون أن يبلغني مصرع أحد أصدقائي أو معارفي تحت التعذيب . أو افتقاد كل أثر له (هذا بصرف النظر عن استشهدوا في ساحة الشرف) . ومن أثر هذه الأرزاء المتواترة توشك أن تفقد مشاعرنا بعض حساسيتها أمام الألم والموت . حتى في صورة تعرضنا لهما بأنفسنا . وأزبدك ايها الصديق العزيز . أنني من المحظوظين بالنسبة لبعض رفقائي ممن فجعوا في كامل أسرتهم أثناء بعض عمليات التطهير . مما يقوم به الجيش الفرنسي بالجزائر . فليت شعري . هل لن يجد الناجون من هول المجزرة أمامهم في غدهم سوى الخراب ؟ إلهي ! ما كان أبهظ الثمن المبدول من طرفنا ! ولكنني أخيرا ... أوتر الصمت .

الاحتراز ازاء هذا التعبير الأخير . وذلك لسببين :

(1) - انتني من أمة مستعمرة (بفتح الميم) ستتحمل بنفسها ان آجلا وان عاجلا أعباء مصائرها . وبديهي أن يخامرني بعض الحذر من عودة للوضع البائد بأزياء وملامح أخرى . وبعبارة أوضح أخشى أن تصبح كلمة « البحر المتوسط » لا في مفهومكم أنتم بل في عالم الواقع . قناعا لصنف جديد من الهيمنة الأمبريالية . ففي سنة 1956 ، إن لم تخني ذاكرتي ، أنشئت مجلة بعنوان « دراسات متوسطية » : وكان قد تراءى لي لدى بعض المسيرين لها . بعض الأغراض المسترابة : فكأنما لاحت لي . من وراء السعي الى بحث وحدة البحر المتوسط ، بوارق محاولة لتزكية دولة اسرائيل . ولاشك أن أي فرد هو حر في الدفاع عن آرائه ، على أن يكون ذلك في وضوح النهار ، أما اتخاذ الأقنعة الساترة ، فلا مستوغ له بتاتا .

(2) - وهذا الاعتراض الأول مدحوض بما قد أنتم من حجج تجعله هباء . فلقد أحسنتم كثيرا اذ قلتم « ان في لجوئنا الى البحر المتوسط ما يخولنا أن نسترد من الغرب ما كنا قد وهبناه في القرون الوسطى » . ولو أنتني كنت من عرب الشرق الاوسط ، لانصوبت الى وجهة نظركم دونما تحفظ . ولكنني من الجزائر أي من بلد ظلت الثقافة العربية فيه خامدة لاحتراك بها طيلة قرن وبعض القرن ، مما يتطلب عملا جبارا لبعثها من مرقدتها وجعلها مسيرة لعصرنا (وهو المجال الذي يمكن أن نتلقى فيه

إلى ربي جيتي

فرين ، 29 جانفي 1960 .
صديقي العزيز ،

لقد قضيت عدة أيام برفقتكم . وأنا مصغ اليكم تلقون محاضراتكم السبع . وفعلا فمن هنالك بدأت : فلقد كانت العناوين جدا مشوقة . وأعترف بأنها كانت عند حسن الظن ولم تخلف وعدا . وقد ارتحت لما لمست من التجاوب بين ما يشغل بالي ويشغل بالكم : فإن من المشاكل المتعلقة في نفسي والمتلجلجة بشكل مبهم في خاطري ما يرجع اليكم الفضيل في وضعها على بساط الدرس واضحة للعيان هذا . وقد كنت منذ بضع سنوات مضت حاولت أن أحدد بكل دقة ما يجب أن تكون عليه في نظري الثقافة المغربية غدا ، وكانت ثمة أوجه للشبه صارخة بين أقوالي تلك وبين ما جاء في « الشرق الأدنى والثقافة » . وان كان هنالك بعض الفرق ، وهو أنني استعملت عبارة « الثقافة العربية » التي احتلت عندهم مكانها كلمة « الثقافة المتوسطية » . وإنه ليساورني من أول وهلة بعض

مساعدة اخواننا من ابناء العروبة) . وحسبكم أن تعلموا بهذا الصدد أن أداة التعليم في مختلف درجاته هي الى اليوم اللغة الفرنسية . وبقيني أنكم لو عشتُم هذه الظروف ، إذن لكان همكم الأول هو تأييد جانب ثقافتنا العربية وإرساخ أقدامها . فمن أجل ذلك أوتر الساعة عدم التحدث عن « ثقافة للبحر المتوسط » .

هذا وقد وضعتم أروع تعريف للمناضل الاصيل . إذ دعوتوه « الشاهد » ، لكن مما يؤسف له أن تصبح « الشهادة » ذريعة للكثيرين في رفضهم الالتزام وتفصيلهم منه . ولعل أولئك الشهدا الكاذبين هم الذين عناهم سانت أكسويري Saint-Exupéry اذ كتب يقول : « ان خطة الشاهد هي دوما موضع اشترازي . وانما أكون شيئا ما بمساهمتي في الأحداث » . ولربما عمدتم الى لفظ الشاهد . لا باعتبار المفهوم الجليل للشهادة لدى المسيحيين فقط (ألم يكن المقاومون الفرنسيون المسيحيون يصدرون جريدتهم بعنوان « الشهادة المسيحية » Témoignage Chrétien) . بل وأيضا بالاضافة الى الظروف والملابسات السياسية المحيطة بكم : فالمنخرط في حزبكم هو « المناضل » في نظركم . و « الشاهد » عندكم هو المناضل كما يجب أن يكون .

الى مناضلي جزائري

فرين . 10 فيفري 1960 .

عزيزي ع ...

كنت لي تقول إن الإسلام في صلب السياسة . وتدمرت من أن الكثير من المناضلين الذين يؤمنون بذلك لا يجدون أي جواب عما يجول بأنفسهم أو يعرض لهم من أسئلة تقتضي الاجابة عنها . وذلك كلما التمسوا وجها للصلة والربط بين التفكير والعمل . وقد ترتبت عن ذلك بعض الآراء المرتجلة لبعضهم . ممن ذهبوا الى القول بعجز لإسلام عن الاندماج في عالمنا الحاضر ومواكبته في سيره . وأحيطك علما أن إخوانك المساجين تخالجهم نفس الأسئلة ، مما حدا ببعضهم أن يطلب إلي أن أحرر بعض الملاحظات حول قضية الالتزام في الإسلام . وإني لمفص إليك بخواطري هذه . وليس من غرضي استيعاب الموضوع من سائر نواحيه . وإنما هي بعض الخطوط الرئيسية البارزة التي أرجو أن تتخذ مادة للنظر وإعمال الفكر . ان الالتزام لمشكلة جد متشعبة . ولن أضل في متاهة الآراء

الفلسفة المتعارضة حولها ، انما اقتصر على ناحيتها الأوثق صلة بواقع الحياة . أعني الناحية العملية . وبالإمكان عندئذ أن نضع المشكلة على هذا النحو : هل للإنسان من يد ومفعول في تسيير عجلة التاريخ ؟ ولربما قلت إن المشكلة قد ظفرت بحل واضح لها منذ قرن مضى . وفعلًا فإن الحتمية التاريخية التي جاء بها هيجل Hegel (ومما يؤثر عنه قوله : « تقع الحروب عندما تصبح ضرورة ، ثم ينضج الحصاد ويخرس لغو اللاعن أمام جلال التاريخ ») قد عارضها الكثيرون ومن بينهم ماركس حيث ذهبوا إلى القول بتحكّم الإنسان في مصائره بمطلق إرادته ومحض اختياره .

أما نحن المسلمين فينبغي لنا أن نخرج كرتة ثانية إلى آفاق تعاليمنا الأولى . ونرجع في شبه رحلة عبر الزمن إلى مناهلنا الروحية فننظر هل أن الإسلام (ونعني أساساً بالإسلام القرآن كما نزل به الوحي وجرى بمقتضاه العمل) قد جاء بحل عملي للمشكلة ، ونعتمد في مثل هذه الصورة ، إلى إبراز موضع الأصالة فيه .

وبوسعنا أن نطرح السؤال الأول كما يلي : هل جتد الإسلام الالتزام أم التخلي ؟ وتلاوة القرآن الكريم تبيّن لنا ما فيه من التحريض الصريح على العمل . وهناك بهذا الصدد آيتان عظيمتا الشأن تبطلان وحدهما كل ما تخرص به « علماء الاجتماع » الغربيون من أقاويل لهم بشأن ما سموه جبرية واستسلاماً للقدر في الإسلام :

- « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (سورة الرعد ، آية 11) .

- « ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (سورة الأنفال ، آية 53) .

فهتان الآيتان . إذ أشادتاً بالسعي الإنساني وما له من أثر . قد أهابتا بالمسلم أن يكون دوماً على يقظة واستعداد للإطاحة بأي نظام بغيض مثير للسخط ، أو لاستبقاء المرضي من النظم والحفاظ عليه .

وهذا الرسول نفسه (صلى الله عليه وسلم) . لم يؤثر العيش بعيداً عن معسكر بني الإنسان . فلم يقل للشباب : « بيعوا ما عندكم واتبعوني » . بل عمل وجاهد وسط أمثاله من الناس . ولم يحظ بالسعادة الأبدية ومزيد القرب من الله إلا إثر ما غامر بحياته . ولم يدخل مكة مظفراً الا بعد أن كافح فيها الأهوال وركب الأخطار ولقي ما لقي من السخرية والإزدراء . وكذلك لم ينحصر عمله بالمدينة في مجرد الدعوة إلى دين الله . بل أصبح رئيس المجتمع الجديد القائم بها . ينظم بها الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية . وقد نراه مساهماً بيده في تشييد المسجد الجامع وبناء مساكن للمهاجرين النازحين عن مكة . ثم كان من أمره فيما بعد أن حمل السلاح وقاد جنده إلى القتال : وكذلك فهو إلى اضطلاعه بتبليغ رسالته . قد آثر أن يعمل . حيث اقتنع أن لايروز لرسالة ما من حيز الفكر إلى حيز الوجود الا عبر الالتزام ومسالكه الوعرة .

والى جانب ما في الاسلام . كما أسلفنا . من استنهاض الهمم للعمل . نجد استنكاره بنفس اللهجة الصريحة لمواقف التخلي والتخلف عنه . ولذلك التخلي عن العمل شكلان يبدو فيهما :
 أ) فهناك أولا الجبناء الذين جاء فيهم قوله تعالى : « وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين » (سورة التوبة ، الآية 86) ، وفي آية أخرى : « إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون » (سورة التوبة ، 45) .
 فليس هنالك إذن في الاسلام أيّ ترغيب لنا في الاعتكاف بديارنا وقد التهمت النيران المدينة أو أمسى الوطن في خطر . بل هو يحثنا على بذل أنفسنا كلما كان إخواننا في حاجة إلينا . أو انتشر البؤس وعمت البلوى ، أو تعالت صرخات الضحايا الأبرياء ، أو استبدت الظلمة فاستفحل الألم وتضاعفت الحسرات . فقد شجرت آيات عدة بالمتخلين عن مساندة اخوانهم والتضامن معهم في قضيتهم المشتركة . ملقية علينا أروع الدروس في الصبر والشجاعة ونكران الذات . فالمسلم الخاص من تحمّل دوما مسؤوليته كاملة ، ولم يتخل عنها قط بانتحال الاعذار الواهية في معظم الأحيان .

ب) ونطرق من هنا الى الصنف الثاني من المتخلين . وهو صنف « المثاليين » . ممن طمحو الى الطهر فقبعوا في ظل برجهم العاجي . واعتزلوا دنيا الناس ومشاكلها . ونسي هؤلاء أن الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا ما ردّد كلمته المأثورة : « لارهبانية

في الاسلام » . وأن الطهر ليس من قبيل الروحانيات الخاصة بالملأ الأعلى ، وإنما هو ثمرة جهاد يومي عسير وارتطامات عدة بواقع الحياة . كما خفي عنهم أن أروع المثل لن يخرج الى حيز الواقع ما لم نجسّم بالفعل .

على أن القرآن أوضح لنا أنه ليس هنالك منزلة ثالثة بين حزب الله وحزب الشيطان . فعلى المسلم أن يقرّر الاختيار . كلّفه ذلك ما كلّفه . وليس له أن يبقى « على الربوة » . لأن من أشرف من شاق عليائه على الأحداث افتقد صلته بواقعها .

وكثيرا ما كان التشوّف الى الطهر لدى الفئة الثانية من المتخلين ساقرا لترعة فردية عندهم مشفوعة بحبهم للراحة واخلادهم الى الدعة . وأنا سائق لك في هذا الصدد حديثا ورد فيه صريح الانذار لما أصبح عليه المجتمع الاسلامي الى زمن قريب منا . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيأتي زمن تثب فيه عليكم الامم وثوب الكلاب على حصتها من الصيد » . قيل « يارسول الله . فهل يكون ذلك لقلّة عددنا » . قال : لا فسوف تكونون في كثرة . لكن الله يملأ قلوبكم وهنا . فسئل عن المراد بالوهن . فقال : « هو حب الدنيا وخوف البلاء » .

وقد أجبتك الآن عن السؤال الأول بما مفاده أن الاسلام تضمن الحث على الالتزام والادانة الصارمة لسائر أشكال التخلي . وبقي عليّ أن أبرز ما امتاز به عن مذاهب اطراء العمل المتكاثرة في عصرنا . وأخاكني ظفرت بالجواب عن ذلك في قوله تعالى : « وقل

اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (سورة التوبة ، 105) . وبعبارة أخرى فالمسلم مطالب بأن يعمل « اعملوا » ، على أن ياتمر في ذلك بناموس اخلاقي (فسيرى الله عملكم) . وأن يتجه في سلوكه الى اقتفاء من اتخذه له اسوة حسنة « ورسوله » . وأن يجعل هدفه صالح مجموعة انسانية « والمؤمنون » .

فتلك هي الميزات الثلاث للمسلم العامل :

أ) فسلوكه خاضع لناموس خلقي (وهو تعبير بلغ في عصرنا هذا من الابتذال أقصاه ومن الازدراء منتهاه . فينبغي أن نعمل على إعادة تقييمه ومنحه الاجلال اللائق به) . وهذا الناموس الخلقي مرتكز على الأمانة والعدل والشجاعة والتواضع وحب الحق . وليست في نظر المسلم كل الوسائل صالحة للبلوغ الى غايته . ولا هو يخلد للسهل من الأمور . وكذلك ليست تعاليم القرآن عنده مجرد ألفاظ جوفاء ، بل هي المهمة دوما لحركاته وسكناته . وهو يعلم ان الله يحب الذين يخشونه ممن شرعوا لأنفسهم منهاجا خلقيا قوامه الصدق واحترام الغير وتأدية الواجب . فإله يقول لنا : « أفحسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » (سورة آل عمران ، 142) . ومدار هذه الآية الكريمة على لفظي « الجهاد » و « الصبر » المنحصر فيما بينهما سلوك المسلم .

ب) ولقد تجسّم هذا الخلق القرآني في الرسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم - الذي يمثل لنا بذلك أنموذجا مكتملا التامت فيه مقومات الجهاد والتقوى . واجتمعت في شخصه خصائص الرجل

الثائر والرجل المنقطع الى الله . ولقد جاء بعده الكثيرون في تاريخ الاسلام ممن أحسنوا التوفيق بين الالتزام الأشمل في شؤون الدنيا وبين حياة روحية من الخصب بمكان . وانا لنجد في تاريخ المغرب طائفة من هؤلاء ليسوا بأقلهم شأنأ أخص بالذكر منهم ابن تومرت وعبد القادر . أما الأول الذي كان صوفيا ومصلحا فقد كان المؤسس لأعظم دولة عرفتها بلادنا وهي دولة الموحدين التي حققت وحدة المغرب في القرن الثاني عشر المسيحي . وأما الأمير عبد القادر فقد كان حسب تعبير كيركيغارد Kierkegaard الذي تبناه صديقا م. ش. ساحلي . « فارس ايمان » التحم لديه الشعور القومي بالشعور الديني أعجب التحام .

ج) والمسلم ، بالتالي ، اذ يعمل لا ينسى انتماءه الى مجموعة . فإله الرسول صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا » . ونحن حين نلتزم لانتفك نصب أعيننا المصلحة المشتركة . ولا نعزب عن نظرنا خير الأمة التي ننتمي اليها . ومن أجل ذلك حرّم علينا أن « نتولى الظالمين » . وكذلك ليس المسلم العامل بالفوضوي . وقد جاء في التنزيل « أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » (سورة الأنبياء ، 105) . فهو لا يهدم شيئا أو يمحوه أصلا الا لبشيد ما هو أحسن . وكأني بالرسول - صلى الله عليه وسلم - اذ يحطم أصنام قريش بالكعبة . إنما كان يرمز بذلك الى ضروب شتى من محدودية لإحلال الحق مكان الباطل .

إلى أبي

فرين . 26 فيفري 1960

أخي العزيز .

اليوم تبدئ سنتي الرابعة بالسجن . وهي . على ما يظهر . الحد الأقصى لعمود السجين ومقاومته . كما ضبطه علماء النفس والمرشحات الاجتماعيات : فهم يزعمون أنه بانقضاء هذا الأجل تنهار حيويته وقوة مداركه معا . ان لم نقل توازنه أيضا . ويقولون أنه يتزلق عندئذ في نوع من خمود الأحاسيس واللامبالاة والانكماش المفرط على الذات Autisme (كما يسميه أطباء الأمراض العقلية) . وفعلا لم أفلت من تدهور الجسم . وهي الآفة المروعة ، ولكنها الشديدة المراس . وما من سجين الا هو عرضة لها . ظاهرة شبيهة بالانجراف في علم طبقات الأرض . ثم ان حياتنا هذه المفرطة العزلة من شأنها أن تنهك الجسمان إلى حد ما . فيفقد بعض مناعته . لكن معنوياتنا بحمد الله مرتفعة . وما شعرت بنفسي قط . أسلم إدراكا مني الآن .

لقد أتيح لي خلال « هذه الرحلة إلى منتهى الليل » التي أقوم بها الآن أن أقف على الكثير من مواطن النقص في نفسي . مما ينبغي تلافيه . وتعلمت الكثير من الأشياء . والقيت عني ما شاء الله من أوهام وأباطيل . ولكن فوق كل ذلك تعلمت أن لا أفتر إلى أي شيء أو إلى أي أحد من الناس .

وأحمد الله رب العالمين أن خلق الكتاب (المتزل) وخالقي الكتب . فمن تلاوة القرآن . وإقامة الصلاة استقيت زادا . حسب تعبير الأساطين الرواقيين . لمسيرة الحياة الشاقة . وانني لأتساءل إلى ذلك كيف كان يمكنني لولا الكتب أن أجد أنيسا في وحدتي . وأن أدفع عني الضجر ... ولولا هذه الأواصر التي تشدني بشعبي لكنت عبرت السد القائم بيني وبين اليأس . يقول مونييه Mounier : « ألا إن ذلك هو الأمل : انه مروءة سافرة ، وإبتسامة في غمرة الدموع ، وفرجة في ظلمات اليأس » .

وقد كاتبت اليوم والدنا أيضا . آه لو تعلم كم أبتهل إلى الله كي يعيش حتى يوم الاستقلال ! فاذا ما كتب له أن يشهد الجزائر وقد حررت أرضها . عندئذ يسوغ لي أن أقي عليه مقطع « لورناتشيو » Lorenzaccio المسرحية الشهيرة : « تعال . يا والدي النبيل . تعال وانظر إلى أحلام عمرك تنهادي ضاحية . لقد أبتعت الحرية . فهيا أيها الشيخ البستاني وليد فلورنس . هيا وانظر نبتك المحب ينشق من الثرى » . ويومئذ أقول لك ما قال شوقي لسعد زغلول :

لنسم ابو الاشبال مله جفونه
ليس الشبول على العرين بنوم

إلى صديق فرنسي

فريين . 8 مارس 1960

عزيزي ك ...

لقد فاجأني كتابك أطيب مفاجأة اثر ذاك الصمت الطويل ...
على أنني لست بمجاريك في موقفك حين تعمد الى تقرير
ماسينيون Massignon

لامراء أن الكثير من المسيحيين الذين كتبوا عن العالم
الاسلامي قد أعربوا عن تلهفهم على انقراض الصوفية الاسلامية .
« إن هذه الديانة التي امتزج فيها العنصران الزماني والروحي كل
الامتزاج . قد أصبح اليوم يتفاهم اتجاهها السياسي وتشد حدة
بقدر ما هي تنزع عنها القيم الروحية الصرف . . فما أبعدنا
اليوم من عهد الصوفيين في الاسلام » . وهذه وجهة نظر سبق
أن أبدأها لوبران كيريس Lebrun-Keris (في كتابه « مصرع
المستعمرات » ص 50) ، وقد أصبحت اليوم واقعا ملموسا ،
وذلك بالضبط منذ أن تفرغ ماسينيون . خبر الاستشراق الأعظم ،

الى دراسة أبعد النزعات الصوفية عن السنة . كأنما نعد اهمال
المظاهر الاخرى للاسلام .

وقد يحلم الكثير من بين الأوروبيين بقيام مجتمع اسلامي
من اخوان عاكفين على أورادهم ومواعظهم الرخيصة . ومتخلتين
لهم عن الشؤون الدنياوية يسرونها مكانهم .

وهذا التاريخ الاسلامي بوضوح لنا أن الصوفية قد
أبعت في حالتين متباينتين على طول الخط :

- فقد رفعت أعلامها أولا في مجتمعات بالغة التطور ازدهرت

فيها المدن والارياف . وانتفى عنها البؤس واستعباد البشر لبعضهم .

- كما عظم شأن الصوفية في المجتمعات الخاضعة للقهر

والمقضي عليها بالجهل والفقر (وهي صوفية مزيفة ليس لها من

الاولى غير الاسم) . وتلك كانت حال العالم الاسلامي في مجموعه

خلال القرنين الثامن والتاسع عشر .

وفي زمننا هذا أصبحت الصوفية في شكلها الاول عبارة

عن ضرب من الترف لا يحسن بحال أن نسيغه لأنفسنا ، أما في

شكلها الثاني فتتبعين مقاومتها : ذلك أن اللجوء الى الصروح او

الاعتكاف بالأديرة ينقلب جريمة إن كانت البلاد في حاجة إلى

سواعد أبنائها وأدمغتهم لتحريرها وتشيد بنيانها . ولكم قلت لك

ان مبدأ الخلاص الذاتي لسا منه في شيء .

إلى ربني حبشي

فرين ، 15 مارس 1960

صديقي العزيز ،

لم أستطع أن أجيبكم قبل الآن عن كتابكم المؤرخ بالسابع
من فيفري . وأستنحكم العذر عن تأخري . فقد عدت الى المستوصف ،
حيث لا أجد من الفراغ ما أجده في المستشفى .

وكم بودي في هذا الشهر . شهر رمضان الذي يشعر فيه المرء

باقترابه من خالقه . كم بودي أن أعرب لكم عن بالغ تأثري بما

حررتم حول الاحاد . « إن الرب ليحتضر بالشرق » تلك هي الصرخة

التي أرسلتم بها على غرار نيتشة في نبراته المدوية . لكن الأمر انحصر

في لبته لدى نيتشة منذ قرن في « اختيار » صدر منه (كما نبه الى ذلك

الأب دي لوباك De Lubac) . أما أنتم فقد أقيتم بصيحة فزع

لاغباء عليها . ولكم يبررها واقعنا .

الافتعلم . أيها الصديق العزيز . أن الرب يحتضر أيضا ،

ويالأسف ... في ضماير « النخبة » من أبناء مغربنا ... والطامة

الكبرى هي أن إلحادنا . كغيره من الظواهر العديدة لدينا . هو مستورد من الخارج : وإنما يعلن أحدنا إلحاده بمفعول العدوى . أو للتظاهر به كشيء مستحسن ولاتخاذ ستارا واقيا ترتكب وراءه جميع المحظورات (وهو مظهر للضعف والتفسخ لاصلة له بتاتا بالكلمة الماثورة عن رسكولنيكوف . بطل دستويافسكي : بكل شيء مباح) . لذلك قلتما وجد من بين ملحدينا أولئك الأفذاذ الأملعين المتحلين بغرر الشيم الانسانية . ممن نجد النماذج العديدة منهم بالغرب (وقد خطر بذهني الساعة من بينهم ر . مارتين دوغار R. Martin Du Gard) :

ومن خصائص الإلحاد عندنا أيضا أنه يندرج في نطاق خطة شاملة للتكرار لماضيها وما مت اليه بصلة من دين أو غيره . كما لو كان الدين هو المسؤول عن قرون الذل والمهانة التي عشناها (وتروج لدينا بهذا الشأن كل الرواج بعض الآراء الماثورة عن رينان Renan) فكان . من أجل ذلك . التخلص من العقيدة . عندهم . هو الشرط الاساسي لكل انطلاقة .

وكم بودني لو علمتم مبلغ ازدياد ملحدينا بكل ما اتسم في نظرهم بـ « سمة القرون الوسطى » ونعتوه بالانتماء اليها . ولعمري انهم ليجهلون كل شيء عن هذه « القرون الوسيطة الرائعة » التي غُنيتم بذكرها والتي تستوجب أن نعيدها الى مكانتها الرفيعة اللائقة بها . ولورأيتهم كيف يرتاحون لترديد هذا الشعار المبتذل المتمثل في قولهم : « الدين يخص الفرد . والوطن للجميع » .

انهم يريدون الغاء الله ومحو آثاره بينما « لامنقذ لنا سوى الله » . وان كلمة الحق هي ما قاله مونييه Mounier : « لئن ذهل القارئون بالأزل عن دنياهم . فلا نذهل نحن عن الأزل في دنيا ردت إلينا » .

والآن بقي للشبان المؤمنين بين نصارى ومسلمين . ممن أنيط بهم بعض المسؤولية في عالمنا العربي المضطرب كل الاضطراب أن يتعمقوا مدلول كلمتكم الأخيظة الداعية الى « قلب الوضع الزمني باخضاعه للروح » . ولاغرو فالذي يهتنا أولا ، حسب تعبيركم الفائق « ليس هو عدم تغيير الماضي ، إنما هو عدم إضاعتنا الله » .

إلى ربي جيتي

فريسن ، 13 افريل 1960
صديقي العزيز ،

شكرا لكم على « كراسم الثالث » المحلى باهدائكم اللطيف ،
والذي بلغني إثر رسالتكم المؤرخة في 13 مارس . فهذا وذالك قد
حدثاني عنكم . وأنبأني عن شواغلكم ومشاعلكم . وإن أشد العناوين
في نظري تشويقا . من بين عناوين محاضراتكم التي اعددتموها
لفترة الثلاثة الأشهر هذه . هو « نزعة شخصانية من عندنا » ،
ولاغرو فهو موضوعكم الجوهري .

ولم أطالع الساعة من « الكراس الثالث » سوى خاتمته التي
كان من أثرها تلطيف بعض ما أصابني من الفزع ازاء ... البحر
المتوسط (بحرنا . كما يقول الرومانيون Mare Nostrum) ذلك
البحر الذي كان معبرا لليونان وروما والانجيل والقرآن وابن رشد
وابن خلدون ... وعلى الرغم من قلة ممارستي للغة الفلاسفة
المعقدة ، فأنا مصمم على مطالعة كراسكم الثلاثة بكل إمعان .

هذا ومنذ أن غادرت الثانوية لم أفتح ولو كتابا واحدا في الفلسفة
اللاهوتية إلا بعض مؤلفات كيركيجارد Kierkegaard التي ما فتئت
تحت يدي طيلة دراستي للطب . ولا ريب في أن ما استخلصتم من
نتائج سيلقي من أضوائه ما يكشف لنا النقاب عن كنه تلك العاطفة
التي هزنتي نحو « أب الوجودية » من أول اتصال لي بتصانيفه .
ولقد كنت حقا بمنأى عن فهم كل ما تضمنته كتابه « الحاشية » .
لكنني توسمت في مؤلفه . منهاجا الى « تنمية الشعور الديني » .
ولقد كان من رأيي دوما أن هناك عملا هاما على المفكرين
المسلمين لإنجازه في هذا المضمار . وقد كان جمال الدين الأفغاني
ومحمد عبده (الذنان تعرضتم لهما في كتابكم « حضارتنا في
المنعرج ») رائدي حركة متسعة لـ « نهضة » و « الإصلاح » .
فيهما يمثلان نقطة انطلاق للحركة أكثر مما هما يتوحدانها .
وكان « الرد على الدهريين » و « رسالة التوحيد » في مستهل قرننا
هما الكتابين المفضلين لدى صفوة الصفوة من قادة الفكر الأكثر
تطورا (من أمثال سعد زغلول . وقاسم أمين . الخ) ، إلا أن
الأحداث تجاوزتهما في عصرنا . والمشكلة هي أن نعلم هل جدت
خطوات أخرى الى الأمام .

ومنذ بضع سنوات وقفت على نتاج محمد إقبال . وقد بدا
لي اقرب في تفكيره الى عصرنا من الشيخ عبده . على أنني لم
أنصفح من تأليفه الغزيرة سوى سفر واحد ، وهو الوحيد الذي
نقل الى الفرنسية . وعنوانه : « حول تجديد التفكير في الاسلام »

صريح في دلالاته .
واني لأتساءل هل ثمة في الشرق الحالي ومن بين المجهودات
العديدة التي يشير اليها ل . غاردي L. Gardet في كتابه عن
« المدينة الاسلامية » . هل ثمة مفكر طمح بأنظاره الى احياء
الفلسفة الاسلامية ملتزما في عمله استبحاء ما أفدناه من الغرب مع
اقتفاء نفس الطرق التي سلكها ابن سينا والغزالي وعبد و اقبال .
فهل لكم أن تنيروا سبلنا بهذا الشأن ؟

إلى صديق فرنسي

فريس ، 5 ماي 1960

عزيزي ك ...

ماذا أحدثك به عن السجن ؟ ان وفرة ما القيت علي من
أسئلتك تجعلني لا أدري عن أيها أجيب أولا .
مما جاء في كتاب « الاقتداء بالسيد المسيح » de Jesus-Christ
L'Imitation : « من أحب حجراته وجد بها الطمأنينة » . أما أنا
فلست بالمحب لحجرتي ، وإن وجدت فيها راحة البال . وهذه أيامي
تنقضي بين مطالعة الكتب وممارسة الألعاب والتناقش مع الرفاق .
فالكتب تمنحنا ثراء الفكر . والألعاب تسليتنا . والنقاش يتناول
بنقضة أعز الافكار لدينا . فيضطرنا الى عرضها ثانية على محك
التجربة .

ولربما حققت كل ما أبغيه لو كان هنا بستان « أجر فيه
قواي المتحطمة » كما يقول بودلير ، لأن الطبيعة تسليتنا دوما عن
اساءة الزمان وبنية البنا ... أجل . لقد يكون كل شيء حسنا

لولا هذه الرقابة المضجرة في عيشنا ... كتب بطل « العلاقات الخطيرة » Les liaisons dangereuses في احدى رسائله قائلا : « إن حياتي ههنا لمرهقة حقاً بوفرة الراحة فيها ورتابتها العديمة الطعم ». وقد كتب ذلك وهو بالريف . وصادف أن لم تكن خلية معه لتلك المرأة فحسب . أما لو أنه عرف السجن اذن لافترق رشده وخرج عن الجادة .

ما الذي يعوزني ؟ انه لشيء شديد الشبه ... بالحرية . وهو ما ليس بإمكانك تقديمه اليّ .

إلى حيدر بركات

فريز . 28 ماي 1960 .
أخي العزيز .

أرجوا أن تكونوا قد عدتم الى باريس . وقد عوفيتم تماما والذي جعلني أعتقد ذلك هو ما كان في أول هذا الاسبوع من تسلمي لكتابكم عن « القوقاز والثورة الروسية » ، وهو ما أشكركم عليه . ولقد أتاح لي ليس فقط بأن استكمل المعلومات التي كنتم أبلغتمونيها حول حياتكم . بل وايضا بالتعرف على فترة من تاريخ ما نواطوا على تسميته بالجمهوريات الإسلامية السوفياتية . والحقيقة أن الناس يجهلونها أو يكادون سواء باعتبار أطوارها في الزمن ، أو بالنظر الى موقعها من الفضاء . ولئن كان تأليف ف . مونتاي V. Monteil بشأنها خاليا من التعمق . فأنا أخشى أن يكون تأليف م . أغرتو M. Egretaud (الذي ظهر أخيرا) متسما بالانحياز وعدم الانصاف في الحكم . ولكم أصبتم اذ لاحظتم أن انقسام القوقازيين على أنفسهم

كان من أبرز العوامل في هزيمتهم والحاقهم بروسيا . وهو مصداق
المثل التشيكي القاتل : « ان لم ترتض أخاك أخاك ، فأحرى أن
تقلب عبدا لعدوك » .
ولقد أعادت مطالعة تأليفكم الى ذاكرتي ما كان من جهاد
بطولي للأُمير عبد القادر بالجزائر في مختلف أطواره . وهذا شكيب
أرسلان ، في تعاليقه حول « حاضر العالم الاسلامي » نجده لم يغفل آنذاك
عن نظير اصاب فيه كل الاصابة بين شامل القوقازي وعبد القادر
الجزائري .

إلى صديق فرنسي

فريز . 20 جوان 1960 .

عزيزي ك ...

لقد فكرت مليا هذه الأيام الأخيرة بشأن الصبغة الجديدة
للحوار القائم بين الشرق والغرب (ان كان بقي هناك ما يمكن أن
ندعوه بالحوار) والتي حتمتها الحضارة الصناعية . أو بالأصح تأثر
العالم الثالث بالتقنية وفهمه الخاص لفحواها . وها انتك الساعة
توجه اليّ بمحضر أعمال ملتقى بال راينفلدن Bâle - Rhinfielden
وفيه العروض القيمة ، لاسيما « الملحوظات الوجيزة حول مقال ريمون
هارون Raymond Aron » لجان هرش Jeanne Hersh .
وانتي لأتساءل هل سبق لها أن شرحت وجهات نظرها تلك في
غير هذه النشرة . ولربما كاتبها مباشرة في الموضوع . حيث
لا أجد حرجا في ذلك . أما أنت فأكون ممنونا لك إن أمددتني ببعض
المراجع البيليوغرافية بهذا الشأن .
ورأيي أن استيعاب العالم الثالث للحضارة التقنية يجب أن يتم

وفق اتجاهين :

أ) اتجاه عمودي أو من أسفل إلى فوق يقع الرجوع من خلاله الى أصول تلك الحضارة (وهي الفكرة التي شرحتها جان هرش) وذلك تفاديا من أن تحل محل التقنية الحية المتطورة Technicité تقنية زائفة منحجرة Technicisme قد توجد حتى بأروبا .

ب) واستيعاب أفقي يجب أن لا ينحصر في مناطق محدودة الرقعة تشكل « جزر تمدين » (كما شاهدت أمثلة من ذلك بالشرق الأوسط) بل يشمل عموم السكان . كما يتعين التخلص من الهياكل الاستعمارية القائمة على وجود اقتصادين متقابلين (أحدهما تقليدي ، والآخر عصري الى أقصى درجة) وقد فصلت بينهما الحواجز وانعدم كل اتصال .

إلى ربني حبشي

فرين . 30 جوان 1960 .
صديقي العزيز ،

لئن لم يتعاضم قلقي لصمتكم الطويل . فذلك لأنني عزوته الى انهماكم في عملكم . وكنت أنتظر تلقي بعض أنباءكم بمجرد انتهائكم من سلسلة محاضرتكم بالندوة اللبنانية ومن دروسكم بالجامعة . لكنني اطلعت الساعة على رسالتكم المؤرخة بالثالث والعشرين من الجاري . وقد أعلمتموني فيها أنكم قضيتم أخيرا فترة طويلة بالمستشفى إثر مرض أصابكم . وبودي قبل أي شيء أن أعبر لكم بكلمتي هذه عن تمنياتي بشفائكم عاجلا . وأنا متماد في تصفح تصانيفكم . وقد حاولت اقتفاء أثركم في اقتحامكم « الى الوراء » مغامرتكم الشاقة والمشوقة معا . للوقوف على ما كان لأجدادنا من سابقة في مكاسب الفلسفة المعاصرة (وهي المغامرة التي ربما عداها سارتر من صنف مغامرة أورفي Orphée الاسطورية) . على أن ما يستوقف القارئ خاصة هو حرصكم البالغ

على درس الوضع الراهن . هذا وإن خواطركم حول مواطن الضعف في علومكم اللاهوتية وعدم اصالة الكثير مما عندنا منها لتعبر في صدق عن واقع منذر بالمأساة .

رئيس تحرير

إلى حبان هدرش

فربين . 5 أوت 1960

سيدتي ،

لقد كان جوابكم في الوقت نفسه تقريرا علميا ورسالة ودية . فشكرا لكم كل الشكر .

وأشكركم عما أمددتموني به من الايضاحات الدقيقة بحول مساهمتكم في ملتقى بال راينفلدن Bâle-Rheinfelden واني لأشاطركم الرأي تماما حول ضرورة اطلاع العالم الثالث على العلم والتقنية الغربيتين ، مشفوعا بوقوفه على المحيط الفلسفي والروحي والاجتماعي الذي كان مهذا لهما . لكن هل يكفي ذلك لكي يستعيد توازنه فيما بعد ؟ يبدو لي أن من واجب البلاد المتخلفة عند مواجهتها الحضارة التقنية أن تأخذ عنها وتفهّمها على وجهها الصحيح . وأن تنسجم معها لا أن تعتقها بحذافيرها .

وهناك اتصال وثيق لمقترحي الأول بموضوع بحوثكم . أما الثاني ، فهو متعلق بما سماه بعض علماء الاجتماع

بـ « الظروف الاجتماعية للتنمية » . وليس من شك أن العلم والتقنية غير مرتبطين بضرورة بالمجتمعات الغربية المعاصرة ولا هما موقفين عليها ، بل للعالم الثالث كذلك أن يضرب بسهم فيهما ، على أن لا يكون ذلك محض تقليد أعمى من طرفه . بل ثمرة انسجام وتلاؤم محكم مع اوضاع مجتمع قائم الذات متقدم في الزمن عن دخولهما فيه . ولربما تعين أن نتفادى ما عسى أن يحدث من رجة خطيرة في شخصية البلاد النامية من جراء ادخال التقنية . اذ لو تم اقرار التقنية مقابل اهمال القيم الاخلاقية والثقافات الوطنية . إذن حلّت الكارثة ، ولكان الخرق أعظم هولاً مما أشرت إليه . فمما لا يخفاك أن الصدمة أهون وقعا وأسلم مغبة بالغرب بفضل ما هناك من تقاليد راسخة كل الرسوخ .

إلى مناضل جزائري

فرين . 6 أوت 1960 .

صديقي م ...

أزف اليكم نهاني بالعمل الذي قمتم به والموقف الجدّي الذي كان لكم عند انعقاد المؤتمر الرابع للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين الذي انتظم أخيراً بتونس العاصمة . وقد قرأت الفصل الذي خصصته له جريدة « لموند » Le Monde أول أمس واستغربت أن لم تكن ضمنه أية إشارة لانتساب الجزائر إلى عالم العروبة والاسلام . والحال أن كريما قد أفضى منذ زمن بتصريح بهذا الخصوص أصالة عن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية . وما كان من حق الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ملازمة الصمت بهذا الصدد . لأن مجال نشاطه هو الثقافة . ولا مفر من أن يكون لعروبتنا محتوى ثقافي في جوهره .

على أنني أسلمت لكم بأن صمتكم لم يكن شاملا : فلقد وقع التعرض أثناء المؤتمر للعالم العربي . لكن كان مجرد الإنحاء باللائمة

عليه لعدم تقديمه اعانة محترمة الى الطلبة الجزائريين . وعلى افتراض وجه اللوم . فلا موجب لتوجيهه الا في صورة اعتراف صريح بالانتماء إلى أسرة واحدة . وإلا فمن التناقض أن نؤنب الرجل على تقصيره في حقنا ونحن ننبأ من قرابته .

وفي هذه المرحلة المتسمة بالكفاح المسلح يجب على الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين أن يضطلع بدور منحصر في أمرين :
- أولهما تكوين الإطارات . وهو ما تنكبون الآن عليه بجديّة فيما أعتقد .

- ضبط محتوى للثقافة الجزائرية . وهو ما يجب أن يستوعب المزيد من جهودكم . ومن المؤسف أن تتركوا المبادرة في هذا الشأن لسواكم .

إلى حيدر بركات

فرين ، 31 أوت 1960 .

أخي العزيز ،

ها أنا ذا من جديد ومبذ شهر بالمستشفى . وهو ما يشرح لكم صمتي الذي ليس عندي من شك في تجاوزكم عنه .
وإني لأرجو أن يبلغكم كتابي هذا وأنتم تنعمون بصحة جيّدة . محققين (بخطي وثيدة ولكنها موفقة) تلك المشاريع التي كنتم حدثتموني عنها في آخر رسائلكم .
وقد أكتد لي أحد أصدقائي أنه استمع اليكم منذ نحو الشهر بالاذاعة أثناء مناقشة كتاب « العرب بين أمسهم وغدهم » للسيد ج . بارك . وقد سرّني ذلك لأن مؤلفه هو دون ريب من نوادر المستشرقين وعلماء الاجتماع الفرنسيين الذين تصدوا لشؤون العالم العربي والاسلامي ، وقد استكملوا عدتهم لذلك بتضلّعهم في اللغة العربية واتخذوا لهم موقفا علميا تزيها متسما بظاهرة العطف Sympathie (بمعناها الانجليزي) ، على خلاف ما يبيده

الآخرون . وهم كثيرون . من الاستخفاف والكراهية . وهو منهج مغاير كذلك لبعض التصانيف المفعمة مدائح . وإن كانت نزره العدد في حقيقة الامر ، والتي كان آخر ما ظهر منها كتاب بينوا ميشان Benoit-Méchin عن الأسرة السعودية .

أما بخصوص ترجمة القرآن (الفرنسية) للسيد حميد الله ، فإنّ تحمّسي لها باديّ ذي بدء كان قد نشأ عن قراءة جزئية أتيح لي أثناءها أن ألحظ تلافيا لأخطاء وقع فيها التجاني ومونتي Montet وبلاشير Blachère . ثم وقفت فيها بعد ذلك ، على أخطاء أخرى وبعض التعابير المستهجنة . فهل يتاح لنا الظفر ياترى بالترجمة المثلّي ؟ إنّ ذلك في نظري هو عمل طويل النفس مما يستدعي مساهمة أخصائيّين كثيرين (بين لغويّين ، وفقهاء ، ولاهوتيّين ، وعلماء ، وفلاسفة . الخ ...) ، يجيدون العربية والفرنسية معا . لكن أليس هذا من قبيل الحلم ؟

إلى صديق فرنسي

فريز ، 3 سبتمبر 1960 .

عزيزي ك ...

لقد أزمعت القيام برحلة استطلاع الى اسرائيل ، وانتك لتحدثني عن ذلك بمزيد التحفظ كأنما خشيت أن تثير سخطي . بيد أنني ألاحظ لك أنه ليس هنالك بيننا مواضيع محرمة يجب تحاشيها . وقد قلّت إن ما اجتلبك الى اسرائيل هو الايمان المتجلّي فيها . لعلك أردت الايمان الذي أخصب الأرض القاحلة ، وبعث الضيعات الجماعية Kibboutzim و ... هزم جيوش العرب . كل ذلك صحيح . على أننا ان نحن عاجلنا المشكلة تعين علينا أن نعتبر عنصرين متباينين كل التباين : (أ) فاليهود هم ، من وجه أول ، عبارة عن أمة مضطهدة سقط من بينها الملايين من الضحايا في المجتشدات النازية . فنحن الذين يقاسون أهوال محق حقيقي في وطننا نقف الى جانب كل من نالهم الضيم وحلت بهم الويلات من أجل جنسهم أو لون

بشرتهم . وانت أعلم الناس بهذا الجانب من القضية . ولطالما تحدثنا عنه منذ بضع سنين .

(ب) واليهود . باعتبار ثان . هم شعب مغتصب غاشم في فلسطين . ألم تعلم أن مليوناً من أبناء فلسطين قد أخرجوا من ديارهم وهم يعيشون منذ اثنتي عشرة سنة مشردين في المخيمات ؟ (وانا شخصياً تهيج اشجاني كلما ذكرت مشهد نجيم للاجئين بمقربة من القدس) . ثم ألم يبلغك ما عمدت اليه اسرائيل اثر حربها مع الدول العربية من استلحاقها مناطق ترابية لم يخولها اياها مشروع التقسيم الأممي (فقد ضمت اسرائيل عنوة الى أرضها ميناء يافا . وجزءاً من الجليل . وجزءاً من النقب) ؟ ألم ينصّ الدستور الاسرائيلي على أن الدولة الجديدة قد « بعثت لكي تتيح لكل يهودي يعيش في دنيا الناس أن يجد له وطناً قومياً » (ومعلوم أن العالم يضم 12 مليوناً من اليهود . بينما لا تتجاوز مساحة اسرائيل 21.000 كم²) ؟ ألا تعلم أن كافة مناطق سكنى العرب باسرائيل ما تنفك خاضعة للحكم العسكري ؟ ثم هل تعلم أخيراً أن العرب يحجّر عليهم أن يكونوا أعضاء بمجلس الأمة الإسرائيلي Histadruth وأن العربي العامل في شركة سولال بونه Solel Boneh يتقاضى 4 جنيهات اسرائيلية . بينما تخوّل 6.5 لزميله اليهودي عن نفس العمل ؟ (وثيقة سنة 1956) .

وقد اكتنف الصمت في كامل انحاء العالم هذا الوجه الثاني للمشكلة . وذلك لسببين :

أ) أولهما ما يشعر به الأوروبيون خاصة من مركب للخطيئة ينفون التخلّص منه . فكأنما لسان حالهم يقول : لشدّ ما عذّب اليهود . وكلّنا متحمّل تبعه آلامهم . فلنتغاض اذن عن بعض آثامهم .

(ب) ومن وجه آخر فعلاً بقاعدة « من كان عدواً لعدوي فهو صديق لي » . وقف الغرب مساندا لليهود باعتبارهم مناهضين للعرب . فليس هنالك من ينكر أن موجة من العداء للعرب تجتاح اليوم أوروبا . وفرنسا منها خاصة . وليست هي بالناشئة عن الحرب الدائرة بالجزائر فحسب . بل أيضاً عن نزعة صليبية لم تنطمس بعد معالمها .

فهذان العاملان المتظافران هما اللذان لولاهما لصعب علينا أن ندرك وجه العلة فيما تنعم به اسرائيل من عطف العالم بأسره . فلقد أصبحت الدولة الجديدة الصبي المدلل للجميع : وانها لاحدى القضايا النادرة التي نجد فيها الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة جنباً الى جنب . أمّا بفرنسا فلا أقلّ من أن نشهد هذه الأمكايل التي يرصّعها لها رجال السياسة من مختلف الاحزاب . لافرق في ذلك بين منديس Mendès وسوستيل Soustelle . وبين مولتي Mollet ودوشي Duchet . . .

خوض المعركة أن يُفَضَّلَ عليهم من طرأوا في أعقابها فتلك هي
 سنة الثورات : فهناك صانعوها . وهناك المجتنون ثمرتها .
 هذا وقد كان أسلافنا وهم من برعوا في معرفة الخيل يميزون
 بين أفراس الزينة وخبول الكر والفر . وهناك أيضا صنفان من
 السياسيين : فثمة المتباهون في المحافل ممن يقتعدون الأرائك ويجرّون
 أذيال الفخر . وثمة رجال المعركة الذين يكدحون ويجاهدون .
 ثم اعلم بعد هذا أن قمة الفخار ليست بالبعيدة في عالم السياسة
 عن خشبة المشقة ، وأن صخرة التعذيب المطلة على الهاوية
 Capitoie Roche Tarpéienne قريبة من صرح الكابيتول الرفيع العماد
 : وهكذا فإن الجمهور الذي يرفع الرجل الى الثريا
 هو نفسه الذي يدوسه على الثرى وبنفس الحماس .

الى مناضل جزائري

فريين ، 9 نوفمبر 1960 .
 عزيزي ع ...

تلقيت الساعة رسالتكم التي وجهتم بها اليّ بمناسبة الذكرى
 السادسة لاندلاع ثورتنا . واني أتيت من خلالها بليلة غير معهودة
 لديك . وربما بعض البأس آونة . انك تقول في معرض السؤال :
 لماذا لا يعترفون لزيد وعمر وبما وهبا من مزايا ؟ ولماذا رفعوا بخالد
 الى الأوج ؟ ... الخ ... إنني لأعلم حقاً أن رجل البحر المتوسط تواق
 الى تجسيم مثله المحبب في شخص ما (الزعيم) . وقد لاحظ
 المختصون في الفن عن بكرة أبيهم أنه مايفكّ متشبّثا بالصورة
 الحسّية . على حين نزوع الشمالي الى التجريد . لكنني أناشدك
 بأن تفكّر مليا بهذا الشأن : لقد آن للمكافحين الجزائريين أن يقرّروا
 سلوكهم بالنظر الى المبادئ لا باعتبار الاشخاص : وهو موقف
 يكون له دور حاسم في مرحلة البناء .
 ولعبري لئن كان حظ الرعيل الأول ممن أبلوا البلاء الحسن في

(التي كنت أجهل وجودها) وتوجهوا اليّ بقائمة تأليفكم ؟
وانا لم أطلع لكم ، الى جانب مقدّماتكم تلك ، سوى مقال واحد
حول لبنان . وقد نشر . ان لم تخني ذاكرتي . بـ « الكراريس
العالمية » Cahiers Internationaux

إلى مكسّيم رودنسُون

فريين ، 10 ديسمبر 1960

سيدّي ،

أجترئ على مراسلتكم اذ عثرت أخيرا على عنوانكم بأحد أعداد
« الكراريس العالمية لعلم الاجتماع » . وبغيتي أن أعبّر لكم عن مدى
ارتياحي وتفاؤلي للوقوف على المقدمة التي وضعتها لتأليف
السيد و. م. وات W. M. Watt « محمد في مكة » وقد فرغت
الساعة من مطالعته . ولاغرو . فإنّ اقتراحكم بعث ضربًا جديدًا من
« الاستشراق » قد صادف هوى في مهجة جزائري قد حزّ في صدره
ما لقيه لدى عامة المستشرقين الفرنسيين من العنصرية الضيقة
والكراهية المتأصلة للعرب .

هذا وإنّ السيد هانري لوفير Henri Lefebvre قد أشار في
كتابه « الجملة والبقية » La somme et le reste الى دراسة لكم
عن القومية نشرت في « الطرق الجديدة » Les voies nouvelles
فهل لكم أن تفضلوا فتعلموني أين يمكنني أن أقتني هذه النشرة

وأن الشعب الجزائري هو جبهة التحرير نفسها . لقد كانوا الاقوياء
بإيمانهم . فأبرزوا للغيان ذاتيتهم مضحين في سبيلها براحتهم ،
وأكدوا حقيقتهم الانسانية متهاونين بكيانهم الفردي الحقيق .
وكذلك قضوا على خرافة « التآخي » المزعوم . وبالتالي . على أسطورة
« الجزائر الفرنسية » .

ألا يا أخي العزيز . لقد آمنت دوما أن ساعة الحقيقة ستدق
بالجزائر نفسها . وأن القوى الحية المنبعثة من صميم البلاد هي التي
ستشكل العنصر الحاسم في حل المشكلة . وان سانت إكسوبري
Saint-Exupéry قد كتب ما كتب عن صواب اذ يقول في « رسالته
الى رهيبن » :

« ان الحقائق الجديدة لتصبح جاهزة في دهايز العسف :
وإن أربعين مليوناً من الرهائن يفكرون هنالك بشأن حقيقتهم
الجديدة . واننا لمدعون لها سلفاً . لأنكم أنتم دون غيركم الذين
سيعلموننا إياها . فما كان لنا نحن أن نأتي بالشعلة الروحية الى
اولئك الذين غدوها بعصارتهم واحترقوا من أجلها كما تحترق الشموع » .
فعسى أن تعرب لك هذه الكلمة عما تعجز الكلم عن تأديته !
لتبلغك عني أنتني الى جانبكم بكل مهجتي وكل جوانحي .
حفظك الله . وحرس الوطن . ومن الله علي بليقائك ولقياه !

إلى أبحي

فرين . 12 ديسمبر 1960 .
أخي العزيز ،

في هذه الظروف العصيبة التي تعيشونها والتي تنضم ويلاتنا
الى آلام عديدة أراني طبعاً متوجها بخواطري نحوكم .
انه لمن أشد الخطب أن يعيش المرء تحت سيطرة الأجنبي :
وإن ذلك لعمري هوشأنا وحالنا منذ 130 سنة . ومن أقسى الخطب
أيضاً أن يُقدّم المرء مغلول الرجلين واليدين لقمة سائغة لجنود
الوحشية . وإن تلك لمصيبتكم منذ 6 سنوات . كذلك من البلية
أن يجد المرء نفسه أعزل عاري الصدر والكفين تجاه عدو مدّجج
بالأسلحة . وهو ما حصل لعمري بالجزائر العاصمة أخيراً وبغيرها .
وكان ذلك يوم أن أصبح الشبان المتظاهرون يطوقهم من كل جانب
جيش معلن في الايقاع بهم والنيل من كرامتهم . فتقدموا رافعين
بند الحرية ومتغنين بنشيدها . تقدموا باسمي الثغور ليعلموا في
وجه العالم أن الشعب الجزائري من وراء جبهة التحرير الوطني .

إلى مكسبم رودنسُون

فرين ، 21 ديسمبر 1960

سيدتي ،

شكرا لكم على رسالتكم المتناهية اللطف وما حوته من معلومات ، وعن المنشورات الموجهة الي من طرفكم .
وقد اقتنيت أخيرا كتاب و . م . وات W. M. Watt الثاني « محمد بالمدينة » . ونصيب الابتكار فيه أقل فعلا مما هو بالأول (وهو الذي يعتبر فتحا جديدا) إلا أنه أدق في البحث . وقلتم لي إن نص ترجمته غير موف بالغرض مشيرا علي بقراءته في النص الأصلي : وسأحاول ذلك ما استطعت . وإن كانت معرفتي بالانجليزية جد محدودة .

أما بخصوص العربية فليس في سؤالكم ما يدعو للاستغراب . وإنما يقوم دليلا على عدم جهلكم بالوضع الثقافي الراهن للجزائر وبالطريقة التي اتخذت في استنصال العربية من بيننا ... أما بالنظر إلي شخصيا فقد كان من حسن الحظ أن أخذت بطرف منها في

بيننا . ثم في « مدرسة حرة » .

وإنني مبتهج بما بلغني من أنكم بصدد إعداد تصنيف عن « حياة الرسول » صلى الله عليه وسلم (فلماذا تحتفظون بالتسمية المحرفة المتعارفة « مهومت » Mahomet ؟) . ولكن هل اطلعتم على كتاب الاستاذ حميد الله في نفس الموضوع . وما هورأيكم فيه ؟ ثم هل لكم . من جانب آخر . أن توافونا بمعلومات أدق عن جمعية الشبان التطوانيين تلك التي نظمت الملتقى العالمي للفلسفة الاسلامية الذي أشرتم اليه ؟

إلى رئيس قلم التحرير جريدة "أفريك أكسيون"

فرين ، 27 ديسمبر 1960 .

صديقي العزيز ،

إن مقال مواطني هنري كريبا Henri Kréa الذي نشر في العدد العاشر من جريدة « أفريك أكسيون » Afrique-Action والذي تناول موضوع الأدب الجزائري ليدعو إلى بعض الاحترازاات وأنا مبدا فيما يخصني احترازين يتعلقان من جهة بقصة امانويل روبليس Emmanuel Roblès ، ومن جهة أخرى باللغة العربية بالجزائر .

(أ) يبدو لي من باب النظر السطحي أن يعتبر كتاب « روايي المدينة » (المعاد طبعه أخيرا) أثرا جوهريا في حقل الأدب المغربي . ولربما كان كذلك حقا لولا أنه لم يكن قصة مالا يحتمل وقوعه . وأغلب الظن أن كريبا . وهو المتبرم مثلنا بتضخم الأدب « التغريبي » Exotique المتخذ من الجزائر موضوعا ، أغلب الظن أن كريبا ، وهو المتبرم مثلنا بتضخم الأدب « التغريبي »

قد راعه تركيز القصة حول موضوع الكفاح السياسي . وحتى الإرهاب . ولكن هل كان ذلك الكفاح السياسي مطابقا لواقع الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية ؟ هذا سؤال غفل عنه كريبا . وكان من حقه التنبيه له . ولاغرو . فإذا كانت حركة المقاومة للاحتلال النازي تشكل حدثا هاما في تاريخ فرنسا . فما كان أبدها عن اثارة حمية الشباب الجزائري واستدراجه إلى ساحتها . لقد كان لهذا الشباب مشاكله الخاصة التي تغاضى عنها روبليس ، فافتقد بذلك كتابه قيمته كشهادة . وقد كنا نرتقب أن نقف خلاله على أصداء المشكلة المؤلمة ، مشكلة العلاقات بين المستعمرين والمستعمرين (وهو ما أبدع متى Memmi في تحليله) وعلى مراحل انبثاق الوعي القومي . مما أفضى إلى حركة « أحباب البيان والحريية » .

ولكن ماذا نجد في « روايي المدينة » ؟ لكأنما أراد المؤلف نغضية الخلافات الحقيقية القائمة بالجزائر ، فركن إلى اختلاق صور من التعارض خيالية صرف . فبطله شاب جزائري في العشرين من عمره وهو يجول في عالم لا صلة له بواقعنا . إلى درجة أن نتساءل هل هو جزائري حقا :

- فهو يسكن بالحلي الأوروبي في منزل مؤجرة غرف مالطية .
وقد قطع كل صلة بأسرته . اللهم إلا بعض الزيارات الموسمية يؤديها إلى عمته بالقصبة .
- وخليته وكل أصدقائه من الأوروبيين . وليس في

الامكان أحسن مما كان . وليس هناك في أيّ موضع ما يكشف لنا تعقد وضعيّة من هذا الصنف .
- وهو ينحاز دون تردّد الى قضيّة المقاومين الفرنسيّين ، ويساهم في احدى شبكاتهم السريّة . ويتطوع للعمل فيها بلا قيد ، وهو الذي يوفق أخيرا الى إعدام رئيس منظمة موالية للعدوّ .

- ونحن لانعلم شيئا كثيرا عن خواجه النفسيّة . انما أوتى ذلاقة عجيبة في التمثيل بآيات ... الانجيل الذي يبدو أنه مستظهر له . وفي كلمة فإنّ قصّة روبليس . عوض أن تكون انعكاسا للشباب الجزائريّ . هي في الواقع « إلحاق » مصطنع : فليس المتحدّث هو اسماعيل . وانما هو روبليس . ممّا يشكل خيانة مؤتمن .

(2) أمّا بخصوص الأدب الجزائري العربيّ اللغة فالفضل في انبعاث اللغة القوميّة للجزائر انما يرجع الى حركة (جمعية العلماء) لا الى أشخاص منزولين (يذكرهم كريا في غير نظام) : وكذلك تنهض العربية نهضتها بالجزائر بعد أن تسارع الاستعماريّون الى الاحتفال بمثواها في الرمس خلال مهرجانات الذكرى المئويّة للاحتلال . هذا وباستطاعتنا أن نلاحظ في تاريخ جمعية العلماء طويرين واضح السّمات : ففي أثناء المرحلة الاولى 1931 - 1940 اتجهت المساعي تحت اشراف المأسوف عليه الشيخ ابن باديس الى النهوض بالإسلام ومقاومة الصوفيّة الزائفة (أو الطرقية) .

وقد برز خلال هذه الفترة عالم مؤرخ هو مبارك الميلي وشاعر مبدع هو محمد العيد : لكنّ الأثر الرئيسي الذي بقي لنا عنها هو مجموعة مجلة « الشهاب » : وأجلّ الدراسات بها قيمة ما كان مخصّصا لتفسير القرآن . وفي ذلك ما فيه من دلالة على منحها .

وفي غضون الفترة الثانية (1943 - 1954) ، كرّست جمعية العلماء صفوة جهودها لتعليم العربيّة . وهو العمل الجليل الذي تحقّق على يد خلف ابن باديس الشيخ الابراهيمي . وبفضل ذلك توفّرت للشعب الجزائري على عتبة الثورة . وعلى الرغم من مغارضة السلط المتمادية في عنفها . 150 مدرسة ابتدائية تضمّ 35.000 من التلاميذ . واشتهر خلال هذه الفترة كثير من الكتاب الشبان من خلال ما نشرهم بجريدة « البصائر » الاسبوعيّة . وكان أغزرهم موهبة دون منازع أحمد رضا حوحو الذي ربّما أصبح قصصيا ممتازا لو لم تفتك بحياته أيدي الشرطة الفرنسيّة سنة 1955 .
والخلاصة أنّه يمكن القول بأنّ كلّ جزائري لقّن العربيّة ابتداء من سنة 1930 . فهو مدين بذلك مباشرة أو بصفة غير مباشرة الى جمعية العلماء .

أمّا العقبي (وهو ضمن من تعرّض كريا لسرد أسمائهم) فلنّ كان بين الرعيل الأول الملتفّ حول ابن باديس والإبراهيمي ، فقد انسلك عن الجمعية سنة 1939 وأصبح من يومئذ عونا ثميناً لمصالح الولاية العامّة .

إلى جاك برك

قرين ، 29 ديسمبر 1960 .

سيدي ،

منذ عام مضى واصلتني بطاقتكم اللطيفة بما أودعت من
التمنيات والآمال ... لكن لم يجد شيء اللهم إلا أن الهوة تزداد
عمقا ... فعسى أن تحقق سنة 1961 استعادة السلام واسترجاع
الحرية من طرف شعب قد بذل أغلى ثمن من أجلهما ... وبنفس
المناسبة أتوجه إليكم بأخلص تمنياتي . مشفوعة بما أكنته لشخصكم
من التقدير والاعجاب .

وقد أتيج لي خلال هذه السنة أن أجد في كتاب « العرب بين
أمسهم وغدهم » أجوبة عن الأسئلة الكثيرة التي تعرض لي حول
العالم العربي واندماجه في موكب الحضارة التقنية . كما قرأت أيضا
دراساتكم عن « اليوسي » التي رفعتم بها . حسب رأيي . من شأن
مرحلة من تاريخنا لا تخلو من بعض الظلمة السائدة معالمها (بالمعنيين
للظلام) .

إن الشبان المغاربة المتخرجين من معاهد التعليم الفرنسية
(وأنا منهم) هم في معظمهم من المتورين عن جذورهم . وإنما
يستعيدون ذكر ما افتقدوه من صلة بها إثر تطواف قاس . وهم
بدركون في نفس الوقت أن انكشاف ماضيهم لأعينهم ضرورة
حيوية . لأن المستقبل كما قلتم وما بالعهد من قدم « إنما هو أحياء
للماضي » . على أنهم في بحثهم عن الماضي . نجدهم متشوفين
إلى الفترات المكثلة أمجادا (كفترة الموحدين) أو إلى أعلام الفكر
المطبقة شهرتهم الآفاق كابن رشد وابن خلدون . فإلى هذه العناصر
من الماضي يروقههم الانتماء وبها يلذ لهم التثبت دون سواها .
وعلى العكس من ذلك نجدهم يغفلون تلك المرحلة الطويلة الممتدة
بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر . لأنها في نظرهم « قد
استوجبت الاستعمار بخطاياها » .

وفي كتابكم عن « اليوسي » برهان على أن هذا « القديم » نفسه
جدير بأن يعطى حظه من عنايتنا . ولا شك أن الثقافة يومئذ كانت
تعتمد الرواية والنقل . ولا تخرج عن دائرة الشروح والتعليق .
فتررت فيها الآثار المتسمة بضابع الأصالة والابتكار . وكذلك
كانت قابلية التفتح والهضم شبه المنعدمة لديها (وترتب عن هذا عجزها
عن اللحاق بركب النهضة العصرية والانسجام معها) . لكنها
كانت إلى ذلك ثقافة قومية لا غبار عليها .

إلى عبد القادر محمد

فرين ، 5 جانفي 1961 .
عزيري سي عبد القادر ،

شكرا لكم على رسالتكم وما بها من معلومات . الحقيقة أن تأثير العرب على تقدم أوروبا الفكري غير معترف به في كل مكان ، وما انفكوا حتى في كتب التاريخ ينتقلون في قفزة خاطفة من العصور القديمة الى عهد النهضة . كأنما القرون الوسطى الرائعة ما وجدت قط . وفيما اذا تنازل بعض المتحررين بدرجات متفاوتة من رتبة الأهواء المفروضة . فخصصوا لها مكانا متواضعا من تصانيفهم . فهم سرعان ما يطفقون لها الكيل اذ يبيتون أن العرب قد انحصرت مهمتهم في نقل الحكمة اليونانية الى الغرب اللاتيني . هذا ويمكن أن نغزو ما لقيته كتب سيدو Sédillot وغ . لبون G. Le Bon (ونقتصر عليهما) من فائق الحظوة في بلدان الشرق الاوسط والمغرب الى أن الرجلين كانا من المؤرخين القلائل الذين نوهوا بأهمية المساهمة العربية وأصالتها .

على أنني أعتقد أن هذه المرحلة اللفظية لاعادة القيم الى نصابها قد وقع تجاوزها . وتمس الحاجة اليوم الى البحوث المتعمقة من صنف ما أنجزه بالاصيوس Palacios حول الغزالي ول . غوتيي L. Gauthier بشأن ابن طفيل . هذا مع ما يجب من التحفظ عند دراسة كتب هؤلاء المستشرقين . اذ الأمر هو كما قلت عن سداد . وهو أنه « اذا ما اهتمت أمة تاريخها اضطلع غيرها بكتابته وفق مشربه الخاص » . فعلينا اذن أن نعكف بأنفسنا على كشف الحجب من جديد عن أسلافنا . وبقيني أننا سوف ننجح في بناء غدنا على قدر تشبعنا بمعرفة تراثنا .

وبهذا الصدد بودي أن أعرف ما كان من مشروع سي حمزة الذي حدثموني عنه . أمّا أنتم فنحن ننتظر الكثير من جانبكم . سواء فيما يخص إسبانيا في العهد الإسلامي . أو بالنظر لتاريخ السنوات الأولى التي عاشها الشيخ في تلمسان .

وليس من شأني طبعاً . وأنا الرجل المؤمن . أن أوافق على كل ما حوته مقالتيكم بمجلة « ديوجين » Diogène من الآراء . على أن عرضكم للوضع الاقتصادي والاجتماعي بجزيرة العرب على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - قد أثار البالغ من اهتمامي . ذلك هو البعد الجديد الذي كانت تفتقر اليه الدراسات المختصة حتى الآن للإسلام . وهو المنهاج العملي الذي نحن مدينون به لماركس Marx الذي يرجع اليه الفضل في احلال العامل الاقتصادي في الصميم من دراسة المجتمعات الانسانية (لا في اخضاع المفهوم الاجتماعي الى عوامل اقتصادية صرف) .

وانكم لمصليون في مؤخذتكم مؤرخي العرب من المعاصرين عن اهمالهم هاته الظاهرة . لكننا . كما تعلم . قد عدنا من بعيد ، وبعيد جداً ! ونحن نأمل أن تبرز البحوث العلمية تدريجياً في عالمنا الاسلامي الذي يجابه . من ناحية أخرى . عديد المشاكل المستدعية للحلول . وليس التاريخ المرتكز على « سرد الاحداث » من خصائص العرب وحدهم . فنحن نلاحظ في أوروبا وحتى يومنا هذا أن ليس للتاريخ الاقتصادي والعلم الاجتماعي المكانة الخليقة بهما في البحث التاريخي .

ولنعد إلى فصلكم بمجلة « ديوجين » المتعلق بابتداء أمر الإسلام : إنه ليبدو لي أن العوامل الاقتصادية القاهرة ، وإن لعبت دوراً لا ريب فيه . فليست هي بالعناصر الوحيدة . ولا المحتلة المكانة الاولى . إنما هنالك عوامل شتى ، مشبكة المفعول (وهي

إلى مكسبم رودنسون

فريين ، 13 جانفي 1961
سيدي ،

لقد طالعت جملة الفصول التي وجهت بها الي ، وهو ما أتاح لي أن أتعرف بصورة أشمل على نزعة لك « اشتراكي » لم تبيّن لي معالمها واضحة في مقدمتكم لكتاب وات Watt ، وإن شرحتم لي فحواها في آخر رسائلكم . وقد سألتكموني رأيي فيها ، وموجب اهتمامي بكل هذه الشؤون .

لقد كنت في حديثي . كسائر الشباب الجزائري المتخرج بالمعاهد الفرنسية . تتعاقب علي فترات الوعي . مما لا يتسع المقام هنالاً ستقصائه . لكنني اكتشفت أثناءها فيما اكتشفت أنني عبارة عن حلقة من سلسلة طويلة ... ومن يومئذ ما فتئت أبحث عن ماضي . تلك هي التجربة المشوقة والأليمة معا . والتي فرض ، ولا ريب . على كل مستعمر أن يحياها . وكذلك أهتم بعض الاهتمام بمطالعة تاريخ الإسلام عامة . وتاريخ المغرب خاصة .

جدلية الطوابق ذات التدرج ، حسب تعبیر م. غورفيتش (M. Gurvitch).
وبكلمة فالاسلام . حسب رأيي ، ثورة دينية استجابت الى
« وضع اجتماعي كلي » .

170

إلى أبي
فرين . 20 جانفي 1961 .
أخي العزيز .

إِنِّي أَتَذَكَّرُ نَقَاشًا طَوِيلًا كَانَ لَكَ يَوْمًا مَعَ الدُّنَا بِشَانِ ابْنِ
سِيرِينَ وَفَنَ تَفْسِيرِ الرُّوْيَا عِنْدَ الْعَرَبِ . وَلَا أَدْرِي هَلْ أَنْتَ تَعْنِي

طريقا طويله معبره . وكان جالسا على الارض تحت ربوه . وهو
مفرط النحافة عاري الصدر مخلوق الهامة قد وضع نظاراته . كما
تصفه لنا بعض الصور التي لم تمنح من أذهاننا . والى جانبه رجل

171

أسرعت نحوه كمن قَتِنَ لَبَنَهُ . وقبلته معرباً له عن خالص الوَدِّ .
 ثم أفرغت جيوبِي . ودفعت له ما عندي . وقد بالغ سبعة جنيهات
 انجليزية . فرفع نحوي طرفه المقعم حناناً وقال لي بالانجليزية :
 « انني أعرف وأحبّ والدكم وأنه لرجل صالح » . وبادر رفيقه فنقل
 كلمته الى العربية . ثم واصلت السير . وإذا بي مازلت أمتلك
 الجنيهات السبعة مع أنني كنت قد وضعتها على الطنفسة بين يدي
 رائد السلم . هذا الى كتيب كان يمسكه . وقد انتقل اليّ . فوليت
 على عقبي لأردّ له ذلك . فتلقاني للمرة الثانية متبسماً وقال لي :
 « انني أقبل منك النقود . أمّا الكتاب فاحتفظ به لأنك ستحتاجه » .
 فما رأيك بهذا الشأن ؟

إلى مكسيم رودنسون

فرين . 21 جانفي 1961
 صديقي العزيز .

إن كلمتي هذه عبارة عن شبه الملحق لرسالتي المؤرخة في
 13 جانفي والتي أرجو أن قد بلغتكم . فقد عثرت أخيراً . وذلك أيضاً
 في المقال المنشور لكم بمجلة « ديوجين » حول مبدأ الاسلام . عثرت
 على ملاحظة صغيرة لم أنتبه لها قبلُ حول تعدّد الزوجات . ولقد
 أذهلني أن أجد هاتين الجملتين محررتين بقلمكم حيث تقولون :
 « ليس هنالك ما يثبت وجود هذه الأسر المتعددة الزوجات بجزيرة
 العرب قبل الاسلام . والواقع أن النصّ القرآني تشجيع لهذا الوضع
 لاتحديد له » .

(1) إن لم يكن هناك ما يثبت لنا تعدّد الزوجات عند العرب في
 جاهليتهم . فليس أيضاً ما يثبت خلاف ذلك . هذا وإن من كتبوا
 عن البلاد العربية قبل الاسلام (حتى من تجلّت للعيان نزعاتهم
 لمغرضه ازاء الاسلام . ومن أكدوا على ناحية « المتعة الحسية » فيه

على زعمهم). قد اعترفوا أن الدين الجديد قد عمل على التحسين من وضع المرأة ، وخاصة على تحديد عدد الزوجات تحديدا ملموسا . وهذا لـ . ميليو L. Milliot المتخصص في القانون الاسلامي والذي لا يمكن نعتة بالتودد البنا (فقد شغل طويلا خطة مدير الشؤون الأهلية بالولاية العامة للجزائر) قد كتب يقول : « لم يكن هنالك من حدّ لتعدد الزوجات عند العرب فيما قبل الاسلام » . (في مقدمته لدراسة القانون الاسلامي . ص . 289) .

وبصرف النظر عن مشركي العرب . فلم يكن أتباع زرادشت (المجوس) ولا اليهود ولا النصارى بالملتزمين بالتزوج بواحدة . اذ ليس في الأفسستا ولا في التوراة ولا في الانجيل ما يفيد تحديدا لعدد . والغريب في الأمر (كما نوه بذلك حميد الله) أن مصلحا كبيرا يقوم في المسيحية بعد مضي تسعة قرون على الدعوة الإسلامية . وهذا المصلح هولوثر Luther . فيتأول إنجيل متى (اصحاح 25 . من 1 الى 12) ويستخلص منه حليّة تعدد الزوجات . (2) ولنرجع الآن الى نص القرآن . فقد حملتموه على معنى التشجيع لتعدد الزوجات . مستشهدين على ذلك بالآية 3 من سورة النساء مبتورة من عنصر اساسي فيها . والآية على وجهها وبأكملها هي قوله تعالى : « وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى . فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ... » . أما أنا فلا أرى في الآية تشجيعا . وانما هناك تقييدان واضحيان ، وقد تجنبت التعرض لأحدهما وهو أن الرخصة

في تعدد الزوجات قد منحت خاصة لمن كفل عددا من اليتامى . وامست زوجته لا تقى وحدها بشؤون عائلة متضخمة . أما الشرط الثاني المقيد لتعدد الزوجات . فهو منصوص عليه بآية أخرى من نفس السورة بصفة أوضح بكثير مما في الأولى . وقلما اعتمدها المؤلفون الغربيون والشرقيون مرجعا لهم . وهي قوله تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » (سورة النساء ، الآية 129) .

ويمكن تلخيص المشكل كما يلي :

الآية 3 : التعدد مرخص فيه . على شرط تحقيق العدل بين الزوجات .

الآية 129 : العدل بينهن غير ممكن . فاستخلص من ذلك أن تعدد الزوجات نفسه أمر متعذر في الاسلام . ولربما سألتهموني لماذا لم يحرمه الاسلام تحريما باتا . ووقف عند ذلك ؟ فأنا أجيبكم أن تعدد الزوجات قد يشكل في بعض الحالات الاجتماعية الشاذة صمام أمن للوقاية من شرها . ولربما أصبحت الجزائر تعيش اليوم وضعاً من هذا الصنف . فقد ذكر جول روا Jules Roy في كتابه عن « حرب الجزائر » أن في القرية الواحدة من بلاد القبائل « ثمانية من النساء مقابل رجلين » (ص . 73) . ولا غرو ف سوف تسلم بأن هذا التفاوت الشامل كافة وطننا والذي سوف يتعاضم بمفعول استمرار الحرب سيشكل معضلة دقيقة لا أدري على أية طريقة يقع فضها يوما ما . لكن بإمكانني أن أحيطكم أننا أثرنا

حولها النقاش في إطارنا هذا المتواضع . وقد تقدّم بعض الرفقاء .
من عرفوا بمناهضتهم العنيدة لمبدأ تعدد الزوجات . تقدّموا باقتراح
كان له في نفسي بالغ التأثير . وأنا أسوقه لكم على علاقته : فهم
يقترحون أن يتزوج كل مناضل بموافقة زوجته أرملة سقط
زوجها في الحرب ويتبنّى أبناءها . وهم يرون ذلك من باب التضحية
المنحتمة .

إلى أبنّي

فريين . 9 فيفري 1961 .
أخي العزيز .

إنّ ذلك « النهار المفقّر من الرجاء والليل الفاقد الكرى » اللذان
يحدثنا عنهما ألوارد Eluard في بعض آثاره ليسا بالنادرين في
عالمي الذي أحيا فيه . فلقد قضيت ليلة كلّها سهاد .
والحقيقة أنني أعيش في ليل دامس منذ أربعة سنين . وليس
ثمّة من فجر أنتظره سوى الذي سيطلع على شعبي ، ولا شمس
أرتقب سوى التي ستبزغ على بلادتي . ولكم كنت أبتهج . وما
بالعهد من قدم . لمشهد طلوع النهار . ولربما ذكرت ذلك من
دون ريب . أمّا اليوم فأنا موجس خيفة من بواذر الصبح الأولى
وقد قادني الأرق إليها . فأنا أكره ضياء خادعا زجّ بي فيما سمّوه
ساحات الشرف . وإن كانت الاساحات للشناعة والنكر . واليوم
يضجّ قلبي أسمى لمطلع هذا الفجر النحس . وقد حمل في طيه
ما كان من اعدام أخواني بالمقصلة . وسوقهم في غير رحمة الى

أروقة الحمام ...

« الآن نعلم حقا كنه الليل » .

« الليل الصادر عن القلب والذي لا يصبح له » (أرغون) Aragon
لقلما حدثتني في رسائلك عن شؤونك الخاصة وعن شؤون
العائلة . فاسع أن تفيض في الحديث عنها . لقد حاولت ليلة أمس
في غير ما جدوى أن أستعيد ذكرى بعض الوجوه . بيد أن صور
الأشخاص الذين عرفتهم (ولربما حق المعرفة) قد أخذت تنطوي
في شبه الضباب . وليس ثمة ما يضاهي مفعول الصور الفوتوغرافية
في تنشيط ملكة التذكر للملامح .

إلى مناضل جزائري

فرين . 17 فيفري 1961 .

عزيزي ع ...

لقد أخبرتني بزواج السيد س ... فانتهزت ذلك فرصة
لتحرّر أجلّ مرافعة طالعتها ضدّ الزواج بالأجنبيّات . أجل . إن
هنالك اعتبارات يتعين على الجزائريّ في يومنا مراعاتها . فلربما
وجد من جرائنها في مآزق محرّجة . من صنف ما تصوّره لنا
مسرحيات كرناي Corneille . وبعد . فهل من حقّ المتحابين أن يضتحيا
بكلّ شيء لنيل مرأيهما وتوفير حظهما من سعادة وهناء ؟ انه لمن
العسير جدّاً في نظري أن نبتّ في مشاكل الزواج ... فكلّ يحلّها
على منواله الخاص .
على أننا إن تناولنا موضوع الزواج بالأجنبيّات على الصعيد
الاجتماعي . فلا مفرّ من أن نلاحظ أنه مفضّ الى خيبة في معظم
الأحيان . وبهذا الشأن أنصح لك أن تطالع قصّة « هاجر » Agar
لألبير ممتي Albert Memmi . وتلك خيبة متجلية . فيما

أعتقد . على ثلاثة مراحل واضحة السمات .

(أ) ففي الطور الأول نشهد ما يبذله العنصر المنفصل عن بيئته (وهو الزوجة ماري في صورة الحال) من الجهود بغية اندماجه في المجموعة الأخرى وفرضه وجوده كعضو منها . وتلك مرحلة النشوة التي يخيّل فيها للحبيين أن ليس من عقبة لن يذلّهما الحبّ في طريقهما .

(ب) ثم تأتي الفترة الثانية . فيدرك العنصر المتحوّل تعذّر اندماجه في البيئة الجديدة . فينحصر همه في الحفاظ على رابطة الزوجية ، مع إضمار الحقد للمجموعة اللافتة له . ويبلغ الأمر الى درجة أن تحاول ماري عزل زوجها عن أصدقائه (ص . 99) وعن أهله وعشيرته بصفة أعم . فتقول له : « انك لست منهم ، وانتك لمغاير لهم الى أبعد مدى » . (ص . 240) .

(ج) واذ يخفق الدخيل في هذه المحاولة الثانية نجده عندئذ ينكمش على نفسه . وتلك مرحلة أولى للقطيعة : فتصبح ماري شرسة المعاملة . وتعود اليها شخصيتها الأولى . واذا ما كان للزوجين ولد أصبح مثارا للخلاف بينهما ، ويبذل العنصر الدخيل ماعنده لجعل الولد نسخة منه . وبذلك يثار لنفسه لا من المجموعة المزدرية به فحسب . بل وايضا من زوجه المقصر في مساندته والدفاع عنه .

والحقيقة أن فقدان ماضٍ مشترك بين الزوجين هو . فيما أعتقد . العقبة الأولى المعترضة للزواج بالأجنبيّات . وانه للخلل

فاحش تعرّض له من كتبوا بشأن القضية . وان لم يتجلّ للطرفين المعنيين الابدع أن فات الوقت . هذا ان كتب لهما التنبه لأمره . وقتلما حصل ذلك . على أن بطل ممّي عند مفارقتها خطيبته الفتاة اللزاسيّة لقضاء عطلته بين ذويه في تونس العاصمة . يتبيّن له قصوره عن إثارة صور من الماضي في رسائله ، فهو يقول : « لم يكن لنا ماضٍ مشترك بيننا » (ص . 38) . حتى اذا ما أصبحت حليلته بعد زمن ظلت صامته أثناء تجاذبه أطراف الحديث مع خلّاته التونسيين . ويعاتبها على ذلك فتجيبه قائلة : « ماذا تريد مني ؟ انكم لتذكرون أحداثا وأشخاصا أجهلهم . وانما تجترون ذكرياتكم » (ص . 99) . وبمرّ الزمن تزداد الهوة عمقا . فتتحوّل وداعة ماري الى موقف عدائي وانطوائي صريح في دلّاته . فتجيب زوجها وقد عاتبها على ترنّمها بالأغاني الألمانية تهدهد بها طفلها . تجيبه قائلة : « انها لأغان ترجع الى طفولتي . ولقد هدّدت أنا كذلك » (ص . 190) .

ونلمح نفس الظاهرة لدى بيارلوتي Pierre Loti . وهو الذي هام . كما تعلم . بحبّ عادة تركيّة خلّدها في كتابه « أزيادي » Azyadé و « شبح من الشرق » Fantôme d'Orient وعلى الرغم مما كان يشعر به . على تقيض موقف ماري بطلّة ممّي . من فائق الاعجاب وحتى الاجلال نحو بلد حبيبته . فما كان ذلك ليصده عن أن يخطّ بقلمه ما يلي : « ان كلّ ما حفّ بي هذه الليلة من زخرف شقي متقادّم الزمن ليشعرنني أكثر

فأكثر بمدى التباين النافذ الى الصميم بين السلالات الانسانية المختلفة . وبما هنالك من عته وطلب للمحال وتعرض للنحس في التماس المرء الحب بتلك الاصقاع النائية . فيبين الحبيين التائبين في أحلامهما يبقى دوماً حاجز العادات والاوزاع الموروثة والمتباينة كل التباين . وتبقى هاوية الأشياء المتعذر إدراكها . ثم عليهما أن يتوقعا بلوغ النهاية وحلول الاجل المحتوم . فلن يجدا عندئذ ما يروح عنهما في تلك الساعة الأخيرة تلك الذكرى المشتركة والمحفوظة ببعض عذوبتها لأطراف طفولتهما الرافلة في أثواب الدين . ولا حتى أرضاً واحدة مشتركة تضم رفاتهما .

إلى الكاهن إتيان ماتبو

فرين . 8 مارس 1961 .

صديقي العزيز .

لقد بلغتني رسالتكم المفعمة ودّاً في شهر الصوم هذا الذي يشعر المرء فيه بمزيد القرب من إخوانه في الله . ولكم أصبتم اذ عمدتم الى التنويه بأهمية الحب في الحوار . على أنه من الضروري أن نعيد الى هذه اللفظة (أي الحب) قيمتها الاولى ... فلقد شغفت طائفة من الفرنسيين (المرائين) عندنا بلوكها على أفواههم (الى جانب لفظ الاحسان والمعروف) جاعلين منها غطاء لشر المخازي ... أو مبرراً لما سمّوه « رسالتهم التمديدية » ... ونحن بالفعل في ميسس الحاجة الى مزيد من الحب لكي ننسى (ما قاسيناه) . أو بالاحرى كي نحاول النسيان .

هذا وقد اتصلت بكتاب السيد هانري ميشو Henri Michaud (« يسوع كما يصفه القرآن ») الذي تفضلتم بإرساله اليّ والذي انتهيت أخيراً من مطالعته . ولا غرو أنه لمن الحسن أن ينكب عالم لاهوتي

مسيحي على بحث ما للسيد المسيح من مكانة في معتقدات المسلمين ومشاعرهم القلبية (على أن تكون هذه المسألة واضحة لا لبس فيها عندنا) . بيد أنه قد كان من حق السيد ميشو أن يحدّثنا أيضا عن نظرة المسيحيين الى شخصية محمد (صلى الله عليه وسلم) . وهو ما قد يفضي بنا . ولاريب . الى حوار بين أصمتين ونقاش لاخير فيه . ولذلك ما فتئت المناقشات حول أصول المعتقدات خالية من كل جدوى ...

واليوم ينبغي أن ينطلق الحوار بين المسيحية والاسلام أكثر مما في أي عهد مضى نحو آفاق أخرى . مع ارتكازه على احترام الذات الانسانية . متجها صوب ذلك « الملتقى للأخذ والعطاء » وإن هو إلا الثقافة بما في طيها من معلومات جمّة نأخذها عن بعضنا البعض .

الى مكسبم رودنسُون

فرين . 25 مارس 1961

صديقي العزيز .

أعذر لكم عن عدم ردّي على رسالتكم في وقتها . لقد كنت أفضى أمسياتي في المطالعة والتحرير فعدت أخصّصها طيلة شهر رمضان للسمر مع الرفاق : وكان مغربنا . ولاريب . محور الاخذ والرد بيننا . خاصة وأن الأحداث ذات الصلة به لم تكن بالتافهة ... وهذه كلمة لي أخيرة حول مشكلة تعدّد الزوجات (وما اعتبرته قط قضية أساسية) . والحق أنني أوافقكم . بصفة عامة . على وجهة تناولكم للقضايا . بيد أنكم لم توفّقوا إلى إقناعي في تلك النقطة بالذات . فأنا محتفظ في شأنها بوجهة نظري . مهما كانت صيبانية في نظركم . مع تحاشي الزّج بها في مسرح النقاش والمقارعة بالحجج بين المعتقدين . ولنتنقل الى مسألة أهم . مسألة علاقاتكم بالمسلمين . واني لأرجو أني تسنح لنا الفرصة لتداولي بشأنها شفويا . اذ ليس

بالميسور الافاضة فيها عن طريق المراسلة . وكفاني هنا أن أوضح لكم أن الشعور الديني لدى الأمم الراححة تحت الاستعمار أو الحديثة التحرر من ربقته كثيرا ما طرأت عليه أنماط من مشاعر أخرى مكسبة اياه تلك الصبغة العدائية التي استنكرتموها منه . وقد لاحظ ريشارد ورايت Richard Wright في كتابه عن باندونغ (وهو الذي لم يخل من بعض السطحية في منهجه) - لاحظ ريشارد ورايت أن الشعور الديني لدى هذه الشعوب لم يعد « عبارة عن صلة دقيقة للشعب مع الكون الذي يحيا في جوهه . تلك الصلة التي أوثقت الأجيال لحمتها وظلت متجسمة في الطقوس والمراسم الدينية . وإنما هو العربون بقدمة الرجل على إنسانيته . وهو ما يذب عنه ويمعن هياما في التعلق به (وإن لم يؤمن بوجوده) . سعيًا منه لارجاح الكفة في باطنه للشعور بالتقدير لذاته والاعتزاز بها » . وأرجو لكم بنهائي على دراستكم عن « المغرب والقومية العربية » وهو أيضا موضوع سيتيح لنا مجالا فسيحا للمناقشة .

إلى الكاهن جاك بومون

فرين . 7 أبريل 1961 .
حضرة الكاهن .

اتصلت فعلا بكتابكم المؤرخ في 14 مارس مشفوعا ببعض الوثائق ذات الصلة بالحوار بين الإسلام والمسيحية . فشكرا لكم على ذلك . وإذ كنت متوعدًا هذه المدة فقد تعذرت علي إجابتيكم قبل اليوم . واني لاستمنحك العذر عن ذلك . لقد فرغت الساعة من قراءة وثائقكم . ولا أخفي عنكم أن انطباعي عنها كان متسما في الصميم بخيبة الأمل . وبعد . فنحن نشهد اليوم ظاهرة رئيسية في تاريخ العالم : وتلك هي بروز العالم الثالث (بما في ضمنه الشعوب الإسلامية) . وقد أخذ يتحمل بنفسه أعباء مصيره حيث أصبح يجابه مشاكل التخلف البالغة الخطورة والعارمة المشاق . وظل يتصارع مع الحضارة التقنية القاسية الفؤاد والحالية من المعاني الروحية وإن بهرته بمفاتها . واعتقد أن للمسيحية . وهي التي ضربت بسهمها في

شدة أزر الامبريالية الغربية زمن أوجها . أعتقد أن للمسيحية دورا هاما يجب أن تضطلع به في مرحلة تصفية الاستعمار التي نجتازها الآن . لكن لقيامها بدورها هذا يجب أن تتجاوز نطاق عنصريتها الضيقة . وأن تكبح مركب الغرور العالق بها . وقد لاحظت أن بعض الفصول التي اتصلت بها من طرفكم بعيدة كل البعد عن تحقيق هذا الغرض . وإنما هي على العكس من ذلك ترجع بنا القهقري . وتذكرنا . في بعض مظاهرها . بآثار لويس فويو Louis Veuillot وسائر مترجمي فكرة « إفريقيا الرومانية » . وبعد فليس من باب محض الاتفاق أن نقارن بين تاريخي سنة 1831 وسنة 1961 .

ونحن نعلم ما هناك من التكافؤ في تفكير الجماهير المستعمرة - بفتح الميم - (ومن بينها الجماهير الاسلامية) بين مفهومي المسيحي والغربي المستعمر - بكسر الميم - حيث لا فرق عندهم بين الاول والثاني . بحيث لم يكن بد في بلادنا من أن تنهض طليعة نذرة العدد بكل أسف من الرواد كي تبذل المساعي البطولية البقطة من أجل تفكيك المعنيين وابرار الفارق بينهما . وان هي لم توفق في ذلك كل التوفيق . ولعمري ان فصولا من صنف ما طالعه لموشكة أن ترزي بهذا السعي وتحط من شأنه بما في طيتها من القضاء المبرم على امكانيات انبعاث حوار حقيقي .

ولربما كانت لي عودة . ان لم تروا في ذلك من مانع . الى الفصول الموما البها . لاسيما ما دبجه يراع السيدين ج . بيشون J. Bichon وه. كريمير H. Kraemer أمّا الساعة

فأقتصر على ابداء رأيي بخصوص ما يلي :

(1) إنه ليس هنالك من حوار دون تعارف وتبادل للاحترام بين الجانبين . لذلك يحز في أنفسنا . ونحن الذين يحبون السيد المسيح ويجلّونه . أن نجد مثلا أستاذا مسيحيا يشبه القرآن بـ « الجنة » مهما كان من بلوغه درجة « الكمال » (كما جاء في « العالم غير المسيحي » Le Monde non Chrétien عدد 51 - 52 . ص 98) .

(2) ليس بالممكن اجراء الحوار بين أتباع معتقدات متباينة الا اذا تخطى كل من الطرفين المتقابلين عن الرغبة في فرض معتقده على « الآخر » . أمّا في نظر السيد بيشون . فليس للمسيحي أن يلجأ الى الحوار الا « باعتباره ذريعة الى التنصير » (نفس المصدر . ص 90) .

(3) إذا ما انحصر النقاش بين الطرفين المسيحي والمسلم في حقل اللاهوتيات ، فكثيرا ما يفضي بهما الى المآزق المخرجة والمخلافات المرهقة . فكان لزاما عليهم . وان انطلقوا عن مبادئ أولية متباينة . أن يعملوا على ابراز أوجه التقارب بينهما . دون أوجه التباين والاختلاف . متحاشين الوقوع في مزالق التزعة التوفيقية الساذجة .

(4) انما يؤني الحوار بين المسيحية والاسلام أينع ثماره ان هو اتخذ منطلقا له احترام الذات البشرية وكان هدفه الثقافة والحضارة . وكفى بالتاريخ شاهدا على ذلك : ففي بغداد حيث كان الترجمة من النسطرة يكشفون للعباسيين عن خبايا افلاطون

وجالينوس . وفي بالرم اذ تظافر المسلمون والنصارى على بحث
ذلك الفن المعماري البديع . وفي طلبيلة التي كان يؤمها الفرنسيون
والابطاليون لتعلم العربية وتوفير رصيدهم الثقافي . في هذه المواطن
اتت الاتصالات بين المسيحية والاسلام أطيب ثمرة لها . وإنه
ليسعدني اليوم أن يبلغ الى اسماعي أن شبانا مسلمين يكرعون من معين
أفكار مونييه Mounier أو تايلا ردي شاردين Teilhard de chardin
أو كارل بارث Karl Barth

إلى مكسيم رودنسون

فريز ، 13 أبريل 1961 .

صديقي العزيز ،

لقد أكدت لي رسالتكم عواطفكم الودية التي لا يسعني الا
شكركم عليها ، والتي قد تصبح بفضلها مراسلتنا هذه حوارا حقيقيا .
ويبدو لي أنكم أخطأتم في تأويلكم الأسباب التي حفزتني
في رسالتي الأخيرة الى سرد جملة لريشارد وايت Richard Wright
وانما مزية هذه الكلمة فيما تلقيه من ضوء كاشف على تحول
العقيدة الدينية في مهج الشبان الواقعيين في قبضة الاستعمار . وقد
رميت من وراء نقلي اياها أن أوحى بما هنالك من عميم الفائدة
في اجراء البحوث الاجتماعية عن الوضع الديني في البلاد الإسلامية .
فقد يكون من أثرها كشف الحجب لنا لا عن مجرد أولئك الذين
لم يجسروا على التجاهر بكفرهم وان تظاهروا بالذود الحازم عن حوزة
الاسلام (من أمثال تلاميذكم في صيدا بلبنان) ، بل وايضا عن فئة
المتباهين بـ « إلحادهم » ممن بالغوا في الاستهتار به علنا بقدر ما اتخذوا

منه ذريعة الى التفسخ والانحلال الاخلاقي (على غرار ليلي البعلبكي التي كثر الحديث عنها أخيراً) .

وكنت في السنة العشرين من عمري . وأنا بصدد البحث عن نفسي . قد لقيت بالجامعة نماذج من الفريقين . فثارت ثائرتي لزيغهم وبعدهم عن الصدق . وكان أن مرت عليّ فترتان متعاقبتان غلبت عليّ في أولاهما النزعة الفولتيرية الى التشكك ازاء المعتقدات . واتسمت ثانيتهما بالتشكك على منوال شبه الصوفي . ثم أفضى الحال بي الى الظفر بشبه التوازن الروحي . وكذلك فمن يومئذ كانت المشكلة الدينية تسترعيني لا باعتبار محض المنفعة والفعالية الناجمة عنها في الحقل الماديّ أو الاجتماعي . بل وايضا باعتبارها استجلاء للحقيقة في الحقل الروحي . حتى إذا ما زج بي في السجن اتضح لي أن عقيدتي كان يعلوها الجهل بغشاوته مهما بلغ من صدقها . وهو عنصر لم يعط حقه من العناية : ذلك أن جهل الشبان المسلمين بحقيقة الاسلام كاد أن يكون مطبقا . مهما اتسموا به من الحاد أو لا مبالاة أو إيمان حقيقي . وهو ما حدا بي أن أحاول تدارك بعض ما في من أوجه الخلل (وكم هي كثيرة !) . وبالتالي . أن أطرح على نفسي طائفة من الاسئلة . مما بقي بعضه . ولست مخفيا ذلك عنكم . دون جواب . « وقل ربي زدني علما » .

هذا وبودتي مصارحتكم بأنني لست ممن يجحد أهمية العامل الاقتصادي . لاسيما في العالم الثالث . لكن تلك الأولوية لا تنافي مطلقا حسب رأيي وجود أبعاد أخرى للانسان . وكما أن

الاستقلال السياسي عبارة عن حلم خادع ان لم يعقبه تشييد الاشتراكية . فكذلك لا أرى امكانية حياة روحية الا اذا بلغ الانسان حدا أدنى من حسن الحال ماديّا وفكريّا .
فهذا ردّي عن جوابك (ولربما كان مشوشا) .

وقد قرأت متأخراً مقالكم بشأن سلطان غاليف Sultan Galiev وقد بلغ اسمه مسمعي لأول مرة سنة 1956 عن طريق مقال لبنينغن Bennisen في مجلة « الفكر » Esprit . وإنه لثار إعجابنا باعتباره « رائدا » قد حاول تطبيق الماركسية اللينينية على مجتمع استعماريّ فلاحيّ في صميمه .

إلى أُنْجِي

مريـن . 21 ماي 1961

أخي العزيز .

لقد كانت ندوة مالون Melun بركة خلاّب فعسى أن تكون ندوة إيفيان Evian إشعاعا صادقا . وعلى كلّ فهناك طلائع يمل...

وقد تحصلت الأشرف على إطلاق سراحه لأسباب صحيّة . فجاء أمس ليودّعنا . وكان الموقف مؤثرا . ولكم شهدنا منذ سنوات من نظائر هذا التحرير . وكان ذلك في كلّ مرة مثارا تمزّق في أحشائنا ...

هذا وكثيرا ما فكّرت هذه الآونة بشأن الحوار بين المسيحيّة والاسلام . لعلّ ذلك بسبب ما توفّر لديّ من صلوات مباشرة أو عن طريق المراسلة مع رجال الكنيسة . ولا غرو فقد أتيح لي خلال السنيّ التي قضيتها بباريس أن أتعرف على العدد الجهم من الطلبة والجامعيّين والمناضلين والمسؤولين السياسيين والمثقفين والصحفيّين .

كلّهم فرنسيّون . ومعظمهم معلّون تعلّقهم بالمسيح . ولقد كنت أذهل لما أشهده في كلّ مرة من انقباضهم كلّما وقع الخوض بشأن الاسلام . وهو موقف من الميسور أن نستروح خلاله حظا موفورا من الجهل . والكراهية بمقادير متساوية . وما فتئت عالقة بذهني ذكرى بعض الاجتماعات الصاخبة بمركز ريشليو Centre Richelieu وذكرى محاضرة بنادي الطلبة البروتستانت بباريس . حيث أبدى هؤلاء من العجرفة ما انقطع نظيره ازاء المحاضر الذي قد نزل في الواقع ضيفا عليهم . وأذكر كذلك حديثا كان لي مع فرنسوا مورياك François Mauriac . فما كان منه الا أن أثار ما سماه « تعصب » المسلمين الاعمى لدينهم مدّلا على ذلك بـ « الآية » الوحيدة التي بلغت الى علمه وهي هذه « كن مؤمنا أو فلتمت » . فرددت عليه بأن قلت له إن آيته المزعومة ليست من القرآن في شيء . بل الامر على نقیض ذلك . اذ نحن نجد في القرآن الكريم : « لا اكراه في الدين » .

وفي الساعة التي كثر فيها الأخذ والردّ حول الحوار بين المسيحيّة والاسلام اعتقد أنه من حقّ المسلمين أن يعرفوا بحقيقتهم . لذلك اعترمت تدوين خواطري حول القضية واليك ما ارتسمته لي من مواضيع بغية أن أطرقها :

- (1) « الاسلام بين أمسه وغده » : وهو موجز عن تاريخ الاسلام قد أنهيت الآن تحريره .
- (2) « المقارعة بالحجج بين الاسلام والمسيحيّة » : وسألح

بالخصوص في هذا الصدد على التصانيف التي مهدت للحوار . لاسيما كتاب الغزالي القيمم « الرد الجميل » .

(3) - « المسيحية والاسلام بالمغرب » : وهو بسطة عن تاريخ

دخول الديانتين ، وما كان من حروب و « محاورات » بينهما .

(4) - « احتلال الجزائر سنة 1930 » : وقد تم ذلك بحد السيف

وتحت شعار الصليب . وفي شخصية الكاردينال لافيغري Lavigrie

التي برزت ملاحظها آنذاك ما يدعم هذا القول أوضح تدعيم .

(5) - « غرة نوفمبر 1954 » : على الرغم مما يبدو من غرابة

في الامر . فان من شأن العنف أن يوفر الاجواء الملائمة لبعض المواقف

المتسمة بنضوج الوعي . وبالتالي لايجاد ظروف الحوار ...

(6) - « آفاق المستقبل » : سأستخلص هنا العبرة من تجربة الماضي

فألح على أهمية المجال الحضاري . وهو الحقل الوحيد الذي

يؤتي فيه الحوار ثمرته .

ولعمري انه لعمل طويل النفس اضطلع به . لكن ليس

باستطاعتي بلوغ الهدف المنشود الا اذا توفرت لدي المعلومات

وأمكنني الاستعانة بالمصادر الموثوق بصحتها . فعسى أن ترتفع

أصوات أجدر من صوتي لتقوم في هذا الباب بمساهمة أغزر مادة

وأوفر فائدة !

إلى مناضلة جزائرية

فرين . 27 جويلية 1961 .

أختي العزيزة ح ...

ان حالة الأرق . وهي الأليفة الوفية لي . تهب بي أن

أكتبك وأن أقول لك انني انشرفت لقراءة رسالتك .

وانه لي بهجني أن قد حظيت بقليا ذويك (وخاصة والدتك)

بعد طول البعاد . ويقيني أن عودتك هذه الى أحضان الاسرة

ستروح عنك . مهما كان من الصدمات الحاصلة بموجبه .

وقد أشرت الى مدى الهوة بينك وبين أسرتك . وهو أمر لا محيد

عنه . فانك لتعلمين حق العلم انتسابك الى ذلك الجيل الانتقالي الذي

كثيرا ما فرض عليه الصمود في واجهتين ... ولعمري ان النزاع

لمعقد كل التعقيد : ذلك أن جيل والدك قد اضطلع بكفاح جدير

باعجابنا للحفاظ على شخصيتنا القومية . وهو الكفاح الذي ما كان

يتسنى دونه تصور اندلاع الثورة ، ولا إبرازها الى الوجود .

وباعتبار الظروف التاريخية السائدة آنذاك اتخذ الكفاح في جوهره

شكلا دفاعيًا . وأمعن فوق ما يجب في تقدير ما هو في حد ذاته
شيء رمزي . أي شكلي صرف . وإن أبناء ذاك الجيل لمصيون
في تبيهم الشبان إلى الأخطار المهددة لهم من جراء مسح الشخصية
وطمس معالمها . على أنهم يعمدون إلى ذلك في غير ما لباقة ولربما
في أسلوب شرس . ولا عو فان موقفهم ذلك لينم في الوقت نفسه
عن حقهم وغيظهم لعدم المساهمة (في حركة التحرير) . وعن
شبه الشعور بالخيبة والإفلاس : فهم يدركون ما كان من عجزهم
عن تلقين ابنائهم هذه الحقيقة الجلية وهي أن تفتحنا للعالم المعاصر لنا
لن يكون ذا جدوى ولن يكون مأمون العقبي إلا على شرط أن
نبقى أوفياء للصميم والخلاصة من ذاتيتنا .

وإذا ما سلمنا بهذا أصبح من الضروري القيام بتنازلات من
الطرفين بغية التقريب من مسافة الخلف بينهما . ولقد أحسنت
صنعا من جانبك إذ قبلتها . ولن تندمي على موقفك هذا . فلسوف
تعلمين يوما أن لاشي يضارع حب الوالدين في نفاسته وعلوقه .
فهو الحب الوحيد البالغ صلابة الصخر .

وهذا هو نفس ما خاطبت به عشية اليوم صديقاتك الأربع .
حيث أسعفني الحظ بالتعرف عليهن . وأتيح لي من خلال التحدث
معهن أن أقدر من جهة مبلغ الشوط الذي قطعه امرأتنا . وأن أدرك من
جهة أخرى وإلى أقصى حد أن لقب «الجيل الانتقالي» إنما هو مجاز خلّاب
لتغطية مفهوم «الجيل المضنى به» . وقد تعرضت في رسالتك
بلهجة التأثير لمباهج حياة الأكوخ وما حفها من الدعة والاطمئنان

وكما بودي أن لا يخمد على الدهر في قلب كل مناضل ومناضلة
ذلك التوق إلى الكوخ . وذلك التشوق الحالم إلى السعادة . مهما
كان من عدم تحقيقها في واقع الأمر . ولا غرو فالثورات ليست بمنجاة
عن تجريد البشر من إنسانيتهم . فلربما خلقت أمساخا مشوهة .
ونماذج آلية صرفة . فتعين إذن مواصلة الكفاح تفاديا للتحجر
الذاتي .

إلى اللجنة التنفيذية لفيدرالية طلبة إفريقيا السوداء الفرنسية

فريز . 16 أوت 1961
أصدقائي الأعزاء .

شكرا لكم على رسالتكم المفعمة روحا أخوية . ولا غرو فاذا
ما كانت مصائر شعب بأكمله في مهب الرياح أصبحت المصائر
الفردية لا شأن لها . ولقد كان لزاما على زهرة الشباب الجزائري أن
تقبل الفداء لكي يشرعوا في الاعتراف لنا بوجودنا القومي . ولعمري
إنني اذا ذكرت كل المستشهدين من اخواني لا أجد لي من موجب
للتذمر والشكوى .

هذا وانه ليسعدني . على الرغم من القضبان الحديدية
والمرض أن أتبع كفاحكم وكفاح كل المجهود على وجه الأرض .
فأنا على غرار الشاعر ألوار Eluard « لم أحلم في ليلي بغير زرقة
السماء » لبلادي ولافريقيا وللعالم الثالث .

إلى بيار ستيب

فريز . 2 سبتمبر 1961

لقد اتصلت برسالتكم . وأفتح كلمتي هذه بأن أتمنى لكم
معالجة طيبة .

هذا وعلى اثر مقال كلود روي Claude Roy المفعم شهامة
وكرما بلغت اليّ عدة رسائل . ولقد بلغ منّي التأثير بعضها مبلغه .
مما يتعذر عليكم تصوّره . على أنني إزاء ما تقاطر عليّ من مظاهر العطف
لم أنمالك من بعض الحرج والاستياء . إذ ما قيمة ما قاسيته أنا بالنظر
إلى ما انتاب اخواني وأخواتي ؟...

أما هنا فـ « لا جديد تحت الشمس » Nil novi sub sole
سوي أن قضية اطلاق سراحى ستعرض من جديد على المحكمة يوم
الجمعة 8 سبتمبر (ولا بد أن تكون م قد أعلمت بذلك
Renée) . رينيه وأنا انتظر القرار في طمأنينة ، خاصة وأنا في
المستشفى منذ شهر وقد تحسنت حالتي العامة تحسنا واضحا .

فهرس

5	 ريني حبشي (تقديم)
11	 أحمد طالب الابراهيمى (مقدمة)
15	 الى أخى ، فرين ، غرة مارس 1957
16	 الى مناهل جزائري ، فرين ، 26 مارس 1957
18	 الى مناهل جزائري ، فرين ، 21 أبريل 1957
20	 الى مناهل جزائري ، فرين ، 10 جوان 1957
22	 الى صديق فرنسي ، فرين ، 17 جويلية 1957
24	 الى أخى ، لاسانتي ، 6 نوفمبر 1957
26	 الى صديق فرنسي ، لاسانتي ، 10 ديسمبر 1957
29	 الى مناهل جزائري ، لاسانتي ، 16 أبريل 1958
31	 الى مناهل جزائري ، لاسانتي ، 27 ماي 1958
33	 الى أخى ، لاسانتي ، 31 جويلية 1958
36	 الى صديق فرنسي ، لاسانتي ، 25 أوت 1958
38	 الى مناهل جزائري ، لاسانتي ، 2 سبتمبر 1958
41	 الى أخى ، لاسانتي ، 3 نوفمبر 1958
42	 الى أخى ، فرين ، 24 نوفمبر 1958
44	 الى كلود روا ، فرين ، 10 جانفي 1959
46	 الى مناهل جزائري ، فرين ، 22 جانفي 1959
49	 الى كلود روا ، فرين ، 13 مارس 1959
51	 الى كلود روا ، فرين ، غرة أبريل 1959
53	 الى حيدر بمتات ، فرين ، 6 أبريل 1959
55	 الى صديق فرنسي ، فرين ، 24 أبريل 1959
58	 الى صديق فرنسي ، فرين ، 13 ماي 1959
62	 الى أخى ، فرين ، 10 جوان 1959
65	 الى كلود روا ، فرين ، 3 جويلية 1959
67	 الى حيدر بمتات ، فرين ، 6 جويلية 1959
69	 الى صديق فرنسي ، فرين ، 19 جويلية 1959

71	 رسالة مفتوحة الى ألبير كامو ، فرين ، 26 أوت 1959
91	 الى حيدر بمتات ، فرين ، 3 سبتمبر 1959
93	 الى ريني حبشي ، فرين ، 13 سبتمبر 1959
96	 الى أخى ، فرين ، غرة أكتوبر 1959
98	 الى حيدر بمتات ، فرين ، 16 أكتوبر 1959
100	 الى ريني حبشي ، فرين ، في 17 أكتوبر 1959
103	 الى جاك بارك ، فرين ، 30 نوفمبر 1959
105	 الى أخى ، فرين ، 10 ديسمبر 1959
108	 الى ريني حبشي ، فرين ، 4 جانفي 1960
111	 الى ريني حبشي ، فرين ، 12 جانفي 1960
114	 الى ريني حبشي ، فرين ، 29 جانفي 1960
117	 الى مناهل جزائري ، فرين ، 10 فيفري 1960
124	 الى أخى ، فرين ، 26 فيفري 1960
127	 الى صديق فرنسي ، فرين ، 8 مارس 1960
129	 الى ريني حبشي ، فرين ، 15 مارس 1960
132	 الى ريني حبشي ، فرين ، 13 أبريل 1960
135	 الى صديق فرنسي ، فرين ، 5 ماي 1960
137	 الى حيدر بمتات ، فرين ، 28 ماي 1960
139	 الى صديق فرنسي ، فرين ، 20 جوان 1960
141	 الى ريني حبشي ، فرين ، 30 جوان 1960
143	 الى جان هرش ، فرين ، 5 أوت 1960
145	 الى مناهل جزائري ، فرين ، 6 أوت 1960
147	 الى حيدر بمتات ، فرين ، 31 أوت 1960
149	 الى صديق فرنسي ، فرين ، 3 سبتمبر 1960
152	 الى مناهل جزائري ، فرين ، 9 نوفمبر 1960
154	 الى ماكسيم رودنسون ، فرين ، 10 ديسمبر 1960
156	 الى أخى ، فرين ، 12 ديسمبر 1960

الجامعة مختلطة
LYCEE MIXTE
NEDROMA

- الى ماكسيم رودنسون ، فرين ، 21 ديسمبر 1960 158
الى رئيس قلم التحرير جريدة « أفريك أكسيون » ، فرين ،
27 ديسمبر 1960 160
الى جاك بارك ، فرين ، 29 ديسمبر 1960 164
الى عبد القادر محداد ، فرين ، 5 جانفي 1961 166
الى ماكسيم رودنسون ، فرين ، 13 جانفي 1961 168
الى أخني ، فرين ، 20 جانفي 1961 171
الى ماكسيم رودنسون ، فرين ، 21 جانفي 1961 173
الى أخني ، فرين ، 9 فيفري 1961 177
الى مناضل جزائري ، فرين ، 17 فيفري 1961 179
الى الكاهن اتيان ماثيو ، فرين ، 8 مارس 1961 183
الى ماكسيم رودنسون ، فرين ، 25 مارس 1961 185
الى الكاهن جاك بومون ، فرين ، 7 أبريل 1961 187
الى ماكسيم رودنسون ، فرين ، 13 أبريل 1961 191
الى أخني ، فرين ، 21 ماي 1961 194
الى مناضلة جزائرية ، فرين ، 27 جويلية 1961 197
الى اللجنة التنفيذية للفيديالية طلبة إفريقيا السوداء الفرنسية
فرين ، 16 أوت 1961 200
الى بيار ستيب ، فرين ، 2 سبتمبر 1961 201

أكاديمية طلبة دكتوراه لتبادل الوثائق والمصادر التاريخية

سحب من هذا الكتاب 5.000 نسخة في طبعته الثالثة

مطبعة

أوميقا للنشر - (قصر السعيد)

تونس



أكاديمية طلبة دكتوراه لتبادل الوثائق والمصادر التاريخية

ن ٥

سعر : 1,700 د.ل.